الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ

(**دراسة وتحقيق**: **من الآية الأولى حتى الآية الثلاثين من سورة الأنفال**)

شاهه الطوير معيوف العنزي

درجة الدكتوراه - تخصص الكتاب والسنة - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز

الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ

(دراسة وتحقيق: من الآية الأولى حتى الآية الثلاثين من سورة الأنفال)

شاهه الطوير معيوف العنزي

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص اكتاب والسنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني :shahaalanze@gmail.com

الملخص:

تناول البحث الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢ه (دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)، وتكون من مقدمة ومبحثين، شملت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة، بينما جاء المبحث الأول للتعريف بالمخطوط وصاحبه وشارحه، وتكون من ثلاثة مطالب، جاء المطلب الأول للتعريف بالمخطوط، بينما جاء المطلب الثاني للتعريف بصاحب المخطوط من حيث اسمه ونسبه وطلبه للعلم ومؤلفاته ووفاته، وتناول المطلب الثالث التعريف بشارح المخطوط من حيث اسمه ونسبه، ونشأته، وطلبه للعلم، ووفاته،، بينما جاء المبحث الثاني عبارة عن دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة الأنفال، في ضوء الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة، ثم اختتم البحث بأبرز النتائج والتوصيات، ومن هذه النتائج ما يلي: تفسير النسفي مختصرًا من تفسير البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، صاحب المخطوط هو عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، حافظ الدين، النَّسَفي، نسبة إلى نسف من بلاد السند فيما وراء النهر، توفي صاحب المخطوط رحمه الله في أصبهان سنة ٧١٠هـ، وله مؤلفات عديدة اشتهر بها في الأصول والفقه والتفسير وعلم الكلام، منها: عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة، كشف الأسرار؛ لخص فيه أصول الفقه لشمس الأئمة السرخسي، كنز الدقائق: متن في الفقه، منار الأنوار: كتاب في أصول الفقه، بحر الكلام: كتاب في أصول الكلام، شارح المخطوط هو إبراهيم بن إبراهيم الجناجي، الملقب ببصيلة، من مواليد قرية جناح بمصر، مفسر مصري، من فقهاء المالكية، منطقي، نحوي، ولد سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية، ومات والده في سنة ولادته المذكورة، توفي شارح المخطوط رحمه الله في مصر سنة ١٣٥٢هـ، وله مؤلفات منها: ضوء الظلام الحالك في فقه الإمام مالك، المطالب السنية في التوحيد- وهو مخطوط، تقريرات –بخطه-على حاشية الصبان في المنطق، رسالة في مبادي النحو- وهو مخطوط-، الكنز الجليل- وهو حاشية على تفسر النسفي وهو مخطوط في ست مجلدات-، وجه مناسبة سورة الأنفال إلى سورة الأعراف التي قبلها: أن في الأعراف ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾وفي هذه كثير من إفراد المأمور به، وفي تلك ذكر قصص

الأنبياء مع أقوامهم، وفي هذه ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- وذكر ما جرى بينه وبين قومه، سورة الأنفال مدنية إلا سبع آيات نزلت بمكة، وهي من قوله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلى آخر سبع آيات، والأصح أنها نزلت بالمدينة،وإن كانت الآيات السبع المذكورة في شأن الواقعة التي وقعت بمكة، إذ لا يلزم من كون الواقعة في مكة أن تكون الآيات التي في شأنها كذلك، فالآيات المذكورة نزلت بالمدينة تذكيراً بما وقع في مكة.

الكلمات المفتاحية : الكنز الجليل ، مدارك التنزيل ، حقائق التأويل ، دراسة وتحقيق.

The Precious Treasure on the Perception of Revelations and the Facts of Interpretation (Alkinaz Aljalil Alaa Madarik Altanzil Wahaqayiq Altaawil) of Aby Albarakat Alnasfii of Ibrahim bin Ibrahim Aljinajii Known as Bosila who Died in ١٣٥٢ A.H.

(study and investigation from the first verse of Surat Al-Anfal till the ٣٠th one)

Shahah Al-Twair Mayouf Al-Anzi

Department of Sharia and Islamic Studies, Specialization Book and Sunnah, College of Arts and Humanities, King Abdul Aziz University, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia

E- mail: shahaalanze@gmail.com

ABSTRACT

The present study tackled the precious treasure on the perception of revelations and the facts of interpretation (alkinaz aljalil alaa madarik altanzil wahaqayiq altaawil) of Aby Albarakat Alnasfii of Ibrahim bin Ibrahim Aljinajii known as Bosaila who died in ١٣٥٢ A.H. (Studying and investigation from the first verse of Surat Al-Anfal till the ٣٠ verse). The study consisted of an introduction and two chapters: the introduction tackled the significance of the subject, reasons for selection and the previous studies. The first chapter addressed the manuscript and its owner and annotator and consisted of three main dimensions. The first dimension was devoted to the definition of the manuscript, while the second one addressed the owner of the manuscript in terms of his name and lineage and his scientific production and death. The second chapter was devoted to a study and investigation of the manuscript from the first verse of Surat Al-Anfal till the ٣٠th one. The research was concluded with the results and recommendations attained as follows: the manuscript owner is Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud, Abu al-Barakat, Hafiz al-Din, Al-Nasafi. He died in Asbahhan in ٧١٠ A.H., and he has considerable scientific production in Jurisprudence,

Interpretation and the Speech Science. He was born in ١٢٧٠ A.H., and died in the year of his birth.

Kew word: precious treasure, perception of revelations, facts of interpretation, study and investigation.

خطة البحث:

المقدمة، وتشمل: أهمية الموضوع – أسباب اختيار الموضوع – المنهج المتبع في دارسة الموضوع – الدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بالمخطوط وصاحبه وشارحه، وتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الثاني: التعريف بصاحب المخطوط، من حيث: اسمه ونسبه – نشأته – طلبه للعلم، مؤلفاته، وفاته.

المطلب الثالث: التعريف بشارح المخطوط، من حيث: اسمه ونسبه – نشأته – طلبه للعلم، مؤلفاته، وفاته.

المبحث الثاني: دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة الأنفال.

أبرز النتائج والتوصيات.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستعين به ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

فإن تعلم كتاب الله والبحث فيه، من أجل العلوم التي يجب على المسلم التعمق فيها، والبحث عن ما فيه من معارف وعلوم جليلة، ومن أجل القربات، وأنفع الطاعات، في الحياة وبعد الممات، ومن سلكه وأخذ بطريقه فقد نال الحظ الوفير، وعلم التفسير من أعظم ما صنف فيه لفهم القران الكريم، ومن أجل العلوم الشرعية وأرفعها قدرا، وأقربها إلى النفوس ؛ لتعلقها بفهم كتاب الله، فبه يحصل التدبر والفهم السليم لمعاني القران العظيم، وأرفعها قدراً، إذ شرف العلم بشرف موضوعه، وموضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، ولا يستطيع المسلم أن يفهم القرآن الكريم ويستخرج أحكامه وحِكمه ومقاصده وأسراره وكنوزه إلا من خلال علم التفسير، ولهذا فهو يأتي في مقدمة العلوم التي يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، وقد اعتنى علماء الأمّة الإسلاميّة على مرّ العصور بعلم التفسير، بل وحَرَصوا على التصنيف في كل نوع من أنواعه، والتبحّر في كل فنّ من فنونه، وبذلوا الجَهد الكبير لمعرفة مراد الله تعالى في آيات وسور القرآن الكريم.

ومما لجأ إليه العلماء في العصور المتأخرة لخدمة علم التفسير، تحقيق المخطوطات، فهو الإرث الذي لا ينقطع، رغبة في خدمة كتاب الله -عز وجل- ونيل شرفه العظيم، والخوض في تجربة التحقيق العلمي الموثق، القائم على أصول التحقيق السليم، واكتساب مهارات جديدة، وعلوم جديدة، إحياء للتراث الإسلامي.

أهمية الموضوع:

١- إنَّ تفسير النسفي مختصرًا من تفسير البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه الحاشية على تفسير النسفي، فالاهتمام بها اهتمام بعدة تفاسير تعد من أمهات علم التفسير، فقد احتوت على كنوز ثمينة، غزيرة النفع، جمة الفوائد، وفي ذلك من تمام الفائدة ما هو حريّ للعمل في خدمة هذا المخطوط.

٢- تكمن أهمية الموضوع في قيمة تفسير النسفي العلمية، وقيمة هذه الحاشية العلمية والتي تتمثل في:

أ- جمع المؤلف لتحقيقات المفسرين وأقوالهم من الكتب المعتبرة.

ب- تفسير بعض الآيات القرآنية التي لم يوفيها النسفي – رحمه الله – حقها من التفسير، وكشف الستار عما في تفسيره من مبهمات وغوامض.

ج- أمانة صاحب المخطوط، وتوثيقه لما نقله في حاشيته على المدارك، والإضافات الغزيرة التي ضمَّنها للحاشية، وبعضها من مخطوطات لم تحقق بعد.

أسباب اختيار الموضوع:

١- خدمة كتاب الله الجليل، لنيل شرفه العظيم.

٢- خوض غمار التحقيق العلمي، واكتساب مهارات جديدة من خلال التعرف على المخطوطات، وكيفية التحقيق.

٣- أحببت المشاركة في إحياء التراث الإسلامي، وجعله في متناول أيدي طلبة العلم؛ ليتسنى الاطلاع عليه والكشف عن كنوزه الدفينة.

٤- مكانة تفسير النسفي العلمية وشهرته بين طلاب العلم، لاشتماله على كثير من العلوم، مما يستدعي ضرورة دراسته ومناقشة بعض أرائه وبيان مذهب السلف فيها.

٥- قيمة الحاشية العلمية التي سبق ذكرها.

٦- إنَّ الاشتغال بتحقيق هذا الكتاب من قبل طلبة العلم، يدعو إلى الرجوع إلى جلّ كتب التفسير، وما يتعلق به من مسائل في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقيدة، والفقه، وعلوم اللغة، والبلاغة، وغيرها، مما يرفع الحصيلة العلمية لدى الطالب، ويضيف له الكثير من المهارات العلمية والبحثية.

٧- مكانة الإمام النسفي رحمه الله العلمية، إذ أنه من العلماء المتقدمين الذين كان لهم دور بارز في إثراء المكتبة الإسلامية بالعلم النافع، فقد كان إماماً في الفقه والأصول والحديث والتفسير، وله الكثير من المصنفات التي تداولها العلماء وتناولوها دراسة وبحثاً.

٨- مكانة المؤلف العلمية، وعرف بنتاجه العلمي في علوم متنوعة منها: في الفقه والنحو.

٩- حوى المخطوط على ثروة نفيسة تمثلت في أقوال العلماء المنقولة من كتب مخطوطة أو مفقودة.

١٠- أن هذا المخطوط لم يحقق من قبل، ولم يطبع حسب علمنا.

منهج البحث:

١- كتابة شرح المصنف في أعلى الصفحة ثم يتلوه التحقيق مفصول بينهما بفاصل.

٢- الاعتماد على النسخة الوحيدة الموجودة لدينا وتعزيز وحدتها بمقابلتها مع موارد المخطوط ومصادر المؤلف التي نقل عنها مع إثبات الفروق وإكمال النقص في الهامش.

٣- نسخ المخطوط وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث مع ضبط المشكل من النص المحقق.

٤- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني.

٥- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها فإن وجد الحديث في الصحيحين فيكتفى بالعزو إليهما وإلا خرج من كتب السنة المعتمدة مع ذكر حكم العلماء عليها.

٦-توثيق الأقوال والنقولات وكلام أهل العلم قدر الطاقة من مصادرها الأصلية فإن لم أجد فالفرعية.

٧- الاعتناء بالمسائل العقدية التي يوردها الإمام النسفي رحمه الله والتنبيه عليها وذلك بالرجوع إلى التفاسير التي اعتنت بالعقيدة السلفية وإبراز منهج أهل السنة والجماعة في ذلك.

٨- الاهتمام بالمسائل الفقهية الموافقة للدليل دون تعصب لمذهب معين، فالعلامة النسفي حنفي المذهب ويكاد يقتصر في تفسيره على ذكر مذهبه دون التعويل على غيره من الأقوال في كثير من المواضع.

٩- الترجمة لجميع الأعلام عند ذكرهم لأول مرة، عدا المشهورين منهم: كالعشرة المبشرين بالجنة، والأنبياء والرسل، معتمدة في الترجمة على مصدرين، وعند الحاجة على ثلاثة مصادر.

١٠- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة مع ضبطها بالشكل.

١١- التعريف بالأماكن والبلدان الوارد ذكرها في الكتاب مع بيان موقعها الجغرافي في العصر الحاضر بقدر الإمكان.

١٢- التعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في المخطوط.

١١- ذكر اسم المؤلف ولقبه واسم الكتاب وبيانات النشر كاملة عند ذكر المرجع أو المصدر لأول مرة وإن تكرر يكتفى بذكر لقبه مع الإشارة للكتاب بلفظ مرجع سابق.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم نجد عملاً علمياً كتب على تفسير النسفي " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " سوى كتاب " الإكليل تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل "، تأليف: محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي (ت١٣٣٣ه)، تحقيق: محي الدين أسامة البيرقدار، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى عام: ١٤٣٣ه، في سبعة أجزاء، وهو شرح مفصل لمدارك التنزيل .[١]

((١ذكر ذلك محقق الكتاب في مقدمته (٤/١).

المبحث الأول

وصف المخطوط والتعريف بصاحبه وشارحه

المطلب الأول

وصف المخطوط

١- نسخة وحيدة بخط المؤلف، وبعض أجزائها بخط عبد العزيز محمد الصاوي، وكتبت سنة ١٣٤١ه، ومنها مصور بمركز البحوث وتحقيق التراث بمكة المكرمة.

٢- المخطوط مكتمل من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وهو سليم فليس به مسح أو أكلة.

٣- غلاف الكتاب عليه نقش الأزهر.

٤- عدد الألواح: ٢٠٣٩.

٥- عدد لوحات الجزء الأول (٣٠٦) لوح، متوسط الأسطر في كل لوح من (٢٢) إلى (٢٥) سطر.

٦-وضعت فواصل وأقواس وكتبت الآيات وأسماء السور باللون الأحمر، وتحتوي على تعديلات وتعليقات في الهامش.

٧- الألواح مرقمة.

٨- أول صفحة من الكتاب كتب بأولها اسم الكتاب واسم مؤلفها وهي على النحو التالي: ((الجزء الأول من الحاشية المسماة بالكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة النسفي، تأليف: الفقير إلى مولاه الجليل إبراهيم إبراهيم بصيلة)).

وكتب في أسفل الصفحة: ((قررت له فحص الكتب في ٨ ذي القعدة /١٤ يوليو ١٩٢٠م أنه كتاب نافع للأزهر والمعاهد الأخرى مستحق للجائزة المنصوص عليها في المادة (١٢٥) من القانون رقم (١٠) ١٩١١م، محضر رقم (٢٤) سكرتير اللجنة: حمد عبد القادر.

٩- يوجد للمخطوط نسخة واحدة فقط بالمكتبة الأزهرية بمصر مكونة من ستة أجزاء، ويوجد نسخة ميكروفلمية مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية كاملة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بمكة المكرمة.

المطلب الثاني

ترجمة الإمام أبي البركات النسفي صاحب كتاب (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، حافظ الدين، النَّسَفي، نسبة إلى نسف من بلاد السند فيما وراء النهر.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ في بيئة علمية دينية، كان لها أهمية كبيرة في حياته وفي نشأته العلمية، فمال إلى اعتزال الحياة السياسية وقد تفرغ للعلم والدراسة وعرف اللغة العربية والفارسية، أخذ العلم عن أئمة العلماء في زمانه، منهم شمس الأئمة الكُرْدِري، وبدر الدين محمود بن عبد الكريم الكردري، وحميد الدين الضرير البخاري، وأحمد بن محمد العتابي، كما تتلمذ على يده خيار العلماء، منهم الإمام السِغناقيّ وابن الساعاتي، ورحل إلى بغداد في نهاية حياته وذاع صياته في الآفاق.

وكان مشهورًا بالتقوى والزهد والصلاح، قال عنه ابن حجر: "عَلاَّمَةُ الدنيا". وقال العلامة قاسم بن قطلوبغا: "كان فقيهًا عارفًا بالمذهب والأدب". وقال السمعاني: "إمام فقيه فاضل، عارف بالمذهب والأدب، صنَّف التصانيف في الفقه والحديث، ونظم الجامع الصغير، وجعله شعرًا، وصنف قريبًا من مائة مصنف".

وهو صاحب التفسير الجليل: (مدارك التّنْزيل وحقائق التّأويل). وهو من أشهر التفاسير التي حظيت بالاهتمام قديمًا وحديثًا، موجزٌ سهل المأخذ، جامع لوجوه الإعراب والقراءات، متصفٌ بالعديد من المزايا. يقول عنه مؤلفه في مقدمته: قد سألني من تتعين إجابته كتابًا وسطًا في التأويلات، جامعًا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمِّنا لدقائق عِلْمَيْ البديع والإشارات، حاليًا بأقاويل أهل السنة والجماعة، خاليًا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل.

وفاته:

توفي رحمه الله في أصبهان سنة ٧١٠هـ.

مؤلفاته:

له مؤلفات عديدة اشتهر بها في الأصول والفقه والتفسير وعلم الكلام، منها:

- عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة
- كشف الأسرار؛ لخص فيه أصول الفقه لشمس الأئمة السرخسي.
- كنز الدقائق: متن في الفقه
- منار الأنوار: كتاب في أصول الفقه.

- بحر الكلام: كتاب في أصول الكلام
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل

المطلب الثالث

ترجمة شارح مدارك التنزيل الإمام إبراهيم الجناحي المعروف ببصيلة

اسمه ونسبه:

هو إبراهيم بن إبراهيم الجناجي، الملقب ببصيلة، من مواليد قرية جناح بمصر، مفسر مصري، من فقهاء المالكية، منطقي، نحوي.

ولد سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية، ومات والده في سنة ولادته المذكورة.

نشأته وطلبه للعلم:

مات أبوه في سنة ولادته فكفله أعمامه وتربى في حجرهم واعتنوا بتربيته فحفظ القرآن بين يدي معلمه الشيخ عبد الرحمن البربري وأتم حفظه وتجويده وهو في الثانية عشر من عمره، واشتغل بالزراعة إلى أن ارتأى القائمون بتربيته أن يذهبوا به إلى الأزهر لما آنسوه فيه من الذكاء والاستعداد لارتشاف مناهل العلم فدخل الأزهر وطلب العلم واشتغل بمذهب الإمام مالك وباقي العلوم من نحو وصرف وبلاغة وأصول حتى حصل على الشهادة العالمية ونال الدرجة الأولى، وعقب ذلك شرع في التدريس وتعلم أيضا الحساب وعلم الأصول ومن ثم تدرج في زيادة المراتب حتى ترقى إلى الدرجة المسماة ب هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

وفاته: توفي رحمه الله في مصر سنة ١٣٥٢هـ.

مؤلفاته:

- ضوء الظلام الحالك في فقه الإمام مالك.
- المطالب السنية في التوحيد-وهو مخطوط-
- تقريرات –بخطه-على حاشية الصبان في المنطق.
- رسالة في مبادي النحو- وهو مخطوط-
- تقرير – بخطه- على حاشية للصاوي.
- الكنز الجليل- وهو حاشية على تفسر النسفي وهو مخطوط في ست مجلدات-.

كل هذه المخطوطات في المكتبة الأزهرية بمصر .[1]

([1]ينظر: الأعلام للزركلي (٢٨/١) ، معجم المفسرين – من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر - لعادل نويهض (٨/١) ، خاتمة المخطوط.

المبحث الثاني

دراسة وتحقيق من الآية الأولى إلى الآية الثلاثين من سورة الأنفال[1]

((1سورة الأنفال هي السورة رقم ٨ في القرآن الكريم، وتقع في الجزء التاسع، وجزء منها في الجزء العاشر، الحزب ١٩، نزلت بعد البقرة. اختلف في عد آياتها على قولين: الأول: أنها سبعون وخمس آيات في الكوفي، وست في المدني والمكي والبصري، وسبع في الشامي. والثاني ذكره ابن كثير انها ست وسبعون بالبسملة. ينظر: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت:٤٤٤هـ)، (البيان في عد آي القران)، ج ١، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)،١٥٨ .أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، (تفسير القران العظيم)، ج٤، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، (الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ)،٣.
الأنفال: مشتق من الجذر الثلاثي: (نَفَلَ)، يدل على عَطَاءٍ وَإِعْطَاءٍ، منه النافلة: عَطِيَّةُ الطَّوْعِ من حيث لا تجب، ومنه نافلة الصلاة، وَالنَّوْفَلُ: الرجل الكثير العطاء، والنَفَلَ واحد: الغنيمة، والجمع: انفال، أي: الغنائم. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، (معجم مقاييس اللغة)، ج ٥، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٤٥٥، مادة (نَفَلَ). ينظر: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، (معاني القران)، ج ١، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، (القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م)، ٣٤٥. إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، (معاني القرآن وإعرابه)، ج ٢، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، (الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م)، ٣٩٩.
سميت سورة الأنفال: لأن المسلمين فُضِّلُوا بها على سائر الأمم؛ ولسؤال الناس عن أحكامها، فقد ابتدأت السورة بقوله تعالى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفال). أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، ج٥، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق،٥٥٦. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت:٧٧٥هـ)، (اللباب في علوم الكتاب) ج ٩، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م)،٤٤٤. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) ج٩، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، (الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ)،٢٣٦.

سورة الأنفال مدنية[1]

وجه مناسبة هذه السورة إلى سورة الأعراف التي قبلها:[2] أن في الأعراف ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾[3] وفي هذه كثير من إفراد المأمور به[4]، وفي تلك ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم[5]، وفي هذه ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- وذكر ما جرى بينه وبين قومه. وقد فصل الله في تلك قصص آل فرعون وأضرابهم وماحل بهم، وأجمل في هذه ذلك، فقال - سبحانه وتعالى-: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[6]. وأشار هناك إلى سوء زعم الكفرة في القرآن بقوله تعالى: وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا

([1]قال بمدنيتها كلاً من: الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وزيد بن ثابت، وابن عباس-رضي الله عنهم-، إلا أن ابن عباس قال: (هِيَ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا سَبْعَ آيَاتٍ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سورة الأنفال، آية: ٣٠، وذكر مقاتل أنها مدنية إلا آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ .

وقيل هي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٦٤. ينظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، (تفسير مقاتل بن سليمان)، ج٢، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ)، ٩٧. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت:٤٤٩هـ)، (تفسير القرآن)، ج ٢، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض- السعودية، (الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م)،٣٦٠. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، (الوسيط في تفسير القران المجيد)، ج ٢، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) ،٤٤٣. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، (معالم التنزيل في تفسير القران)، ج٢، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ)،٢٦٦.

([2]ينظر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ج٨، الناشر: (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة)،٢١٧.

([3]سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

([4]كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٧٥.

([5]كقصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام. راجع الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٠، ٨٥، ١٣٠، من سورة الأعراف.

([6]سورة الأنفال، آية: ٥٢.

[1].وصرح -سبحانه وتعالى- بذلك هنا بقوله -جل وعلا-:﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ [2] وبين _جل شأنه_ فيما تقدم أن القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون[3]، وهنا بين حال المؤمنين عند تلاوته وحالهم إذا ذكر الله تبارك اسمه بقوله -عز من قائل-:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [4]إلى غير ذلك من المناسبات[5].ملخصا من الألوسي.[6]

وهذه السورة مدنية إلا سبع آيات نزلت بمكة[7]وهي من قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى آخر سبع آيات[8]، والأصح أنها نزلت

((1سورة الأعراف، آية :٢٠٣.
((2سورة الأنفال، آية: ٣١.
((3قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة الأعراف، آية: ٥٢.
((4سورة الأنفال، آية: ٢.
((5ينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، (البرهان في تناسب سور القرآن)، ج١، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - (المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، ٢١٦/٢١٥. ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق) .٤/٢٩
((6شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني)، ج٥، المحقق: علي عبد الباري عطية -الناشر: (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ)، ١٤٧. والألوسي هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسر ومحدث وأديب، سلفي المعتقد، خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ. ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، (الأعلام)، ج٧، الناشر: دار العلم للملايين، (الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م)، ١٧٦. بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ)، (طبقات النسابين)، ج١، الناشر: دار الرشد، الرياض، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م)، ١٨٦.
((7ينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق) ،٣٦٠/٧ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١)، (الدر المنثور)، ج٤، (الناشر: دار الفكر /بيروت)، ٣.
((8هي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ

بالمدينة[1]،وإن كانت الآيات السبع المذكورة في شأن الواقعة التي وقعت بمكة، إذ لا يلزم من كون الواقعة في مكة أن تكون الآيات التي في شأنها كذلك، فالآيات المذكورة نزلت بالمدينة تذكيراً بما وقع في مكة[2]،والآيات السبع آخرها قوله: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [3]

أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾سورة الأنفال، الآيات: ٣٠ – ٣٦.

(([1]أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: " قلت لابن عباس: سورة الأنفال، قال نزلت في بدر". محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، (صحيح البخاري)، ج٦، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ رقم:٥٦٤٥، ص:٦١. وينظر: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، (الناسخ والمنسوخ)، ج١، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى،١٤٠٨هـ، ٤٥١. قال ابن الجوزي: "هذه السورة مدنية بالإجماع". جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (زاد المسير في علم التفسير)، ج٢، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ)، ١٨٣.

((2]قال ابن عطية: " وهذه الآية نزلت في قصة وقعت بمكة ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة، ولا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه". أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ج٢، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ)،٤٩٦.

((3]سورة الأنفال، آية: ٣٥.

قوله: "ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر... الى آخره "[1]

أي: "فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: "كنا][ردْءاً [2] لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم".]وقالوا [3] لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " المغنم قليل والناس كثير وإن تعطي هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك" فنزلت.[4]

((1قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ سورة الأنفال، آية: ١"ولقد وقع اختلاف بين المسلين في غنائم بدر وفي قسمتها، فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحق في قسمتها؟ للمهاجرين أم للأنصار، أم لهم جميعاً؟ فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة، يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم". أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، (مدارك التنزيل وحقائق الأقاويل)، ج١، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م) ،٦٢٩.

((2في الأصل (ردأ)، والمثبت بالهمزة (ردْء) كما هو في كتب اللغة. ينظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، (مختار الصحاح)، ج١، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت-صيدا، (الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)،١٢١، مادة (ردْء).

((3في الزمخشري (وقال). والمثبت من الأصل.

((4الحديث أخرجه وتفرد به أبو داود في سننه. أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، (سنن أبي داوود)، ج٣، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب: الجهاد، باب: النفل، رقم:٢٧٣٧، ٧٧. قال الألباني: صحيح. محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، (صحيح وضعيف سنن أبي داود)، ج١، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث، ٢. ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، (أسباب نزول القران)، ج١، المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ)، ٢٣٥.

العبارة في الزمخشري، وفيها أيضاً بيان سبب نزول آية الأنفال. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) ج٢، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، (الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ)، ١٩٤. وذكَرَ ذلك أبو السعود في تفسيره. ينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢. الواحدي، (أسباب نزول القران، مرجع سابق)، ١/ ٢٣٥.

وعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه- قال:" قتل أخي عمير[١] يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص[٢] وأخذت سيفه فأعجبني، فجئت به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقلت: " إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: (ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض)[٣] فطرحته، وبي ما لا يعلمه إلا الله تعالى، من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قليلاً، حتى جاءني رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وقد نزلت سورة الأنفال، فقال: (يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي، وقد صار لي، فأذهب فخذه)[٤]. انتهى كشاف.[٥]

فقوله: " كنا ردْءاً لكم " أي: عونا لكم برأينا وتدبيرنا وثباتنا لكم تحت الرايات .[٦]

((١الصحابي الجليل عمير بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أسلم قديماً، شهد بدراً واستشهد بها، آخى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عمرو بن معاذ أخي سعد بن معاذ، استصغره النبي -صلى الله عليه وسلم- في بدر فبكى، ثم أجازه، قتل وهو ابن ١٦ سنة. ينظر: أبو الفضل أحمد بن أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، (الطبقات الكبرى)، ج٣، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م)، ١٤٩. علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، (الإصابة في تمييز الصحابة) ، ج٤، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ)، ٦٠٢.

((٢هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، قتل أبوه يوم بدر مشركاً، قتله علي، كان له يوم مات النبي -صلى الله عليه وسلم- تسع سنين، لم يرو عن النبي وروى عن عائشة وعمر-رضي الله عنهما-، وهو مقل في الرواية، اعتزل الفتنة، ولم يقاتل مع معاوية، كان جواداً ممدوحاً حليماً وقوراً، رجع المدينة ومات بها. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٣٠/٥. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (سير أعلام النبلاء)، ج٣، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، (الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م)، ٤٤٥. ابن حجر العسقلاني، (الإصابة، مرجع سابق)، ٣/٩٠.

((٣القَبَض: بفتح الباء مَا جُمِعَ مِنَ الغَنيمة قَبْلَ أنْ تُقسَّم. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (غريب الحديث)، ج٢، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، هـ١٤٠٥ – م١٩٨٥)، ٢١٦، مادة: (قَبَض). مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، (النهاية في غريب الحديث والأثر)، ج٤، الناشر: المكتبة العلمية – (بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ٦، مادة(قَبَض). زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مختار الصحاح، مرجع سابق)، ١/٢٤٦.

((٤أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ج٤، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب: الفضائل، باب: فضل سعد بن ابي وقاص- رضي الله عنه-، رقم:١٧٤٨، ١٨٧٧.

((٥الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ٢/١٩٤.

((٦(الرِّدْءُ) العَوْنُ. زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مختار الصحاح، مرجع سابق)، ١٢١/١، (مادة: ردء).

وفي المصباح: "والردء مهموزاً، وزَانُ حِمْلٍ المُعِينُ، وأرْدَأْتُهُ بالألف أعنته"[1].انتهى.

قوله:" ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية[2]. لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله-صلى الله عليه وسلم- / في الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3]، بيّن في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾الآية. وفي أبي السعود:[4]﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مسوقةٌ لبيان مَنْ أريد بالمؤمنين، بذكر أوصافهم الجليلةِ المستتبِعةِ، لما ذُكِر من الخِصال الثلاثة[5]، وفيه مزيدُ ترغيبٍ لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة، أي: إنَّما الكاملون في الإيمان المخلِصون فيه"[6]. انتهى.

((1أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: ٧٧٠هـ)، (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، ج١، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت،٢٢٥، مادة: (ردء).

((2سورة الأنفال، آية:٢.

((3سورة الأنفال، آية:١.

((4أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، الإمام العلامة المحقق، مفتي الديار الرومية، كان شديد التحري في فتاويه، صاحب تفسير (إرشاد العقل السليم)، توفي سنة: ٩٨٣هـ في القسطنطينية. ينظر: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: ١٠٦١هـ)، (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ج٣، المحقق خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)،٣١. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، ج٨، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ٣٩٨.

((5في أبي السعود (الثلاث)، والمثبت من الأصل. والخصال الثلاثة هي خصال الكمال في الإيمان، وهي: خوف القلب من عقاب الله-عز وجل-، والتصديق بالله والإيمان به والعمل على ذلك، والتوكل عليه في كل أموره، كما وضحته الآية الكريمة. ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ١٣/٣٨٥.

((6أبو السعود، (إرشاد العقل السليم، مرجع سابق)، ٤/٤.

وفي البيضاوي:[1] ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ لزيادة المُؤْمَن به، أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة وللعمل بموجبها، وهو قول من قال: "الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"، بناء على أن العمل داخل فيه. انتهى .[2]

وفي الشهاب[3] قوله: " لزيادة المُؤْمَن به...إلى آخره ". اختلف في الإيمان هل يزيد وينقص أو لا؟ على أقوال[4]: فقيل: لا يزيد ولا ينقص. وقيل: يزيد وينقص؛ لأن الأعمال داخله فيه، فيقبل ذلك بحسبها. وقيل: نفس التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفاً. ولما ذَكَرَ في الآية زيادته نزَّلها على الأقوال، فمن قال: لا يزيد ولا ينقص، قال: أن ذلك باعتبار متعلقة وهو المُؤْمَن به على بناء المفعول. ومن قال: أن اليقين نفسه يقبل ذلك، قال: لقوة الأدلة ورسوخه، ولا شك أن إيمان أحد العوام ليس كإيمان الصديقين؛ ولذا قال

((1الإمام ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد البيضاوي، قاض ومفسر وعلامة، صاحب تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، استمد تفسيره من مفاتيح الغيب للرازي، توفي في مدينة تبريز، أختلف في تاريخ وفاته سنة ٦٨٥هـ، وهي الأرجح. ينظر: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)،)طبقات المفسرين)، ج١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ٢٤٨ .تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت:٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى)، ج٨، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ)، ١٥٧.

((2ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج٣، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ)، ٤٩. وقد ذكر ابن حيان أن السبب في زيادة إيمانهم هو تظاهر الأدلة وتظافرها، مما يبعث الطمأنينة في نفس المؤمن بقبول الله لعمله، وهذا -والله أعلم- نابع من حسن الظن بالله والقناعة بعدل الله ورحمته بعبده. ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، (البحر المحيط في التفسير)، ج ٥، الناشر: دار الفكر – بيروت، (الطبعة: ١٤٢٠ هـ)، ٢٧١.

((3هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، قاضي القضاة، شارح حاشية البيضاوي المسماة (حاشية الشهاب على البيضاوي)، له تصانيف في اللغة والأدب، توفي في ١٢ رمضان عام ١٠٢٦هـ، وعمره نيفاً وتسعين. ينظر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي (ت: ١١١١هـ)، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة)، ج٢، الشاملة، ١٢٧. صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت: ١١١٩هـ)، (سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر)، ١/٣.

((4للتفصيل في هذه الأقوال وأسبابها والأدلة عليها، ينظر: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، (كتاب الأيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته")، ج١، المحقق: محمد نصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م)، ٤٦. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، (الإيمان)، ج١، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، (الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٢٥٩.

علي- كرم الله وجهه-: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً"[١]، وقد رجح هذا النحرير[٢] والعلامة[٣]. ومن قال: أن الأعمال داخلة فيه فهو ظاهر". انتهى .[٤]

((١لم أجد له تخريجاً في كتب السنة أو الأثر، يدل على أنه من قول علي- رضي الله عنه-، ذكر بعض أهل العلم أن هذا القول المشهور أنه من كلام علي -رضي الله عنه-. والبعض أنه لأبي بكر الصديق-رضي الله عنه- ونفى بعضهم ذلك، قال ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين: "...أشار إليها عامر بن عبد قيس في قوله:" لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً"، وليس هذا من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا قول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كما يظنه من لا علم له بالمنقولات". محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، (الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م)، ٣٧٧. ينظر: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى)، ج١، المحقق: محمد الصباغ، الناشر: دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت، ٢٩٣.

((٢ينظر: ابن عاشور، (التحرير والتنوير، مرجع سابق)، ٩/ ٢٥٧. محي الدين شيخ زادة (ت: ٩٥١هـ)، (حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي)، ج٤، المحقق: محمد عبد القادر شاهين، الناشر: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ٣٥٩ – ٣٦٠.

((٣هو العلامة يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي، أبو زكريا محي الدين النووي، علامة بالفقه والحديث، كان إماماً بارعاً حافظاً، له مؤلفات كثيرة نافعة منها: شرح مسلم، ورياض الصالحين، وشرح المهذب، توفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: السبكي، (طبقات الشافعية، مرجع سابق)، ٣٩٥/٨. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، (طبقات الحفاظ)، ج١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ)، ٥١٣. حيث قال: "... الأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك فهذا مما لا يمكن إنكاره ". أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، ج١، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ)، ١٤٩.
وقد أجمع جمهور أهل العلم من أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والبشر متفاضلون في أعمالهم، وليس كما ذكرت الطوائف الأخرى كالخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة، أو المعتزلة الذين يجعلون مرتكب الكبيرة بين المنزلتين، والمرجئة الذين أنكروا أن الإيمان يزيد وينقص، وقد دل الكتاب والسنة على إجماع أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾

سورة محمد-صلى الله عليه وسلم-، آية: ١٧. قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ سورة الفتح، آية: ٤. وقال -صلى الله عليه وسلم-: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان). أخرجه مسلم في صحيحة، (مرجع سابق)، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، رقم:٥٨، ٦٣/١. ينظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، (تخريج العقيدة الطحاوية)، ج١، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ)،٦٢. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، (العقيدة الواسطية)، ج ١، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف – الرياض، (الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ١١٣.

((٤شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسير البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي)، ج٤، دار النشر: دار صادر/ بيروت، ٢٥١.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه -:"الإيمان سبع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله الا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبه من الإيمان".[١]

وعن عمر بن عبد العزيز[٢]- رضي الله عنه- /:" إنَّ للإيمان سُنناً وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان".[٣]

قوله: "لا يخشون ولا يرجون إلا إياه" الأمور المفوضة إلى الله تعالى إما أمور تخشى أو أمور ترجى، فلذلك قال: "لا يخشون ولا يرجون...إلى آخره".[٤]

قوله: ﷺ لصلا [٥] مرفوع على أنه نعت للموصول الأول أو بدل منه أو بيان له، أو منصوب على القطع المنبئ على المدح، وقد مدحهم -سبحانه وتعالى- أولاً بمكارم الأعمال القلبية من الخشية والإخلاص والتوكل، وهذا مدح بمحاسن الأعمال القالبية من الصلاة والصدقة". انتهى. ألوسي.[٦]

قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [٧] إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث أنهم متصفون بها، وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عمن عداهم أكمل تميُّز، منتظمون بسببه في تلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد؛ للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف.

((١أخرجه مسلم في صحيحه، (مرجع سابق)، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، رقم: ٣٥، ٦٣/١.

((٢أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، من خيار أمراء بني أمية، له فقه وعلم وورع، تميزت خلافته بالعدل والمساواة ورد المظالم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أمر بتدوين الحديث، توفي مسموماً بالشام على أرجح الروايات سنة ١٠١هـ وعمره ٣٩ سنة. ينظر: عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري، (سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه)، ج١، المحقق: أحمد عبيد، الناشر: عالم الكتب - بيروت – لبنان، (الطبعة: السادسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ٢٤. ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٨٩/١-٩١. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (التاريخ الكبير)، ج٦، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ١٧٥.

((٣أخرجه البخاري في صحيحه، (مرجع سابق)، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (بني الإسلام على خمس)، ١٠/١.

((٤عطف عليه قوله: (لا يخشون ولا يرجون). شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٤/٢٥١.

والعبادة الحقيقية هي التي تجمع بين الحب والخشية والرجاء، ولابد من التوسط والاعتدال في ذلك، لمن أراد لقاء الله والقرب منه. ينظر: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٩هـ)، (مختصر منهاج القاصدين)، ج١، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، (عام النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م)، ٣٠٥.

((٥سورة الأنفال: آية ٣.

((٦الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)، ١/١٥٧.

((٧سورة الأنفال، آية: ٤.

انتهى. أبو السعود.[١]

قوله: "أي: أولئك هم المؤمنون إيماناً حقاً"، فالعامل فيه المؤمنون، لاحق مقدر كما قيل.[٢]

قوله: "أو هو مصدر مُؤَكد للجملة"[٣] أي: فالعامل فيه حق مقدر. أو قيل: أنه يجوز أن يكون لمضمون الجملة التي بعده، أي: لهم درجات حقاً، فهو ابتداء كلام. وهذا مع أنه خلاف الظاهر إنما يتجه على القول بجواز تقديم المصدر المُؤَكد لمضمون الجملة عليها. والظاهر منعه كالتأكيد[٤]. وقد ذكر الزمخشري[٥] هنا: أنه تعلق بهذه الآية من يستثني في الإيمان[٦]. وكان أبو حنيفة[٧]- رحمة الله تعالى- ممن لا يستثنى فيه، وهي مسالة الموافاة المشهورة[٨]. ولكونه متعلقاً بهذه الآية وجه بعيد، ولذا أنكره العلامة في شرحه[٩]. ولذا لم يتعرض لها المصنف[١٠]- رحمه الله- هنا. (وتحقيقها) أن الاستثناء -

---

((١أبو السعود، (إرشاد العقل السليم، مرجع سابق)، ٤/٤.

((٢ينظر: السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥/ ٥٥٩. قال الطبري:" الذين يفعلون هذه الأفعال هم المؤمنون، لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا". الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٣٨٨/١٣. فهم الذين استوى الإيمان في ظاهرهم وباطنهم، لأن حقيقة الإيمان عند أهل السنة: أنه الإقرار بالقلب وباللسان، والعمل بالجوارح كما سبق. القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق)،٧/٣٦٧.

((٣قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ سورة الأنفال، آية: ٤ " أو مصدر مؤكد للجملة، التي هي أولئك هم المؤمنون". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)(،١/ ٦٣٠

((٤وقد منع هذا القول أيضاً وضعفه أبي حيان، وبين أنه لا يجوز تقديم المصدر المُؤَكد لمضمون الجملة عليها. ينظر: أبو حيان، (البحر المحيط، مرجع سابق)، ٢٧٢/٥. السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)،٥/٥٥٩.

((٥محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الحوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، علامة في الأدب، ونسابة العرب، المفسر، صنف التصانيف، منها تفسيره (الكشاف)، والفائق في غريب الحديث والأثر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في رجب سنة: ٤٦٧هـ بزمخشر قرية من قرى خوارزم، كان إمام عصره وكان متظاهراً بالاعتزال داعية إليه، مات ليلة عرفه، سنة: ٥٣٨هـ. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، (وفيات الأعيان)، ج ٥، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٦٨. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، (طبقات المفسرين)، ج١، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، (الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ)، ١٢١.

((٦ينظر: الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)،٢/١٩٦.

((٧ينظر: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، (البحر الرائق شرح كنز الدقائق)، ج٢، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، (الطبعة: الثانية - بدون تاريخ)، ٤٩.
أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن المرزبان الكوفي، ولد في الكوفة سنة: ٨٠هـ، فقيه وعالم، اول الأئمة الأربعة، صاحب المذهب الحنفي، يعد من التابعين، أمتحن وأوذي في سبيل الله، عُرف بالورع وكثرة العبادة، توفي في بغداد سنة: ١٥٠هـ. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٣٦٨/٦. البخاري، (التاريخ الكبير، مرجع سابق)،٨٠ /٨

((٨مسألة الموافاة: أن الإيمان ما مات عليه العبد ووافى به ربه، وهو من أقوال الأشاعرة، وليس قولاً لأحد من السلف، ولا الأئمة الأربعة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-، حيث فصل في هذه المسألة. والاستثناء في الإيمان ليس له تعلق حقيقي بمسألة الأشاعرة في الموافاة؛ لأن من يقول: (أنا مؤمن إن شاء الله)، أراد بذلك الخوف والرهبة المشروعين، كمن قال: (اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك)، ولم يكن للشك في أصل الإيمان، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة. ينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق)، ٤٥٥/٥. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، (مجموع الفتاوى)، ج٧، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٦٦٧. محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، (أصول الفقه)، ج٢، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان، الناشر: مكتبة العبيكان، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م)، ٦٧٦.

((٩ العلامة هو: يحي بن شرف النووي، في شرحه (المنهاج في صحيح مسلم بن الحجاج). ينظر: النووي، (المنهاج، مرجع سابق)،١١/١١٨.

((١٠المصنف هو: الإمام ناصر الدين البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

أعني إن شاء الله- / إن كان للتبرك وتفويض الأمور إلى مشيئته تعالى، أو للشك في الخاتمة، أو في الإيمان المنجي الذي يترتب عليه دخول الجنة، أو لتعليق الإيمان الكامل الذي يدخل فيه الأعمال جاز. وبالجملة ليس للشك في حصول الإيمان في الحال، فيرتفع النزاع ويتبين أنه لفظي كما ذهب إليه شُرّاح الكشاف بأسرهم. انتهى شهاب.[١]

قوله: "فقد آمن بنصف الآية" أي: دون النصف الآخر؛ لأن المؤمنين هم أهل الجنة، وهو لم يشهد بأنه من أهل الجنة[٢]. وعبارة الكشاف: "فقد آمن بنصف الآية"، وهذا إلزام من يعني، كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً، فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً. انتهى .[٣]

قوله: "يتشبث" أي: يتمسك ويتعلق[٤]. قوله: "لا يقول ذلك"[٥] أي: لا يقول أنا مؤمن إن شاء الله.

قوله: "وقد قال لقتادة"[٦] في الكشاف: "وكان أبو حنيفة -رضي الله عنه- ممن لا يستثنى فيه، وحكى عنه أنه قال لقتاده: لم يستثنى...إلى آخره".[٧]

((١شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٢٥٢/٤،٢٥١. وقد أجاز كلاً من الشيخ ابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله- ذلك بالتفصيل السابق. ينظر: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ)، (مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله)، ج٥، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ٤٤. محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، (مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين)، ج٣، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، (الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ)، ٨٥.

((٢قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٤"عن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً، ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة، فقد آمن بنصف الآية". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)،.١/٣٦٠

((٣الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)،.٢/١٩٦

((٤ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، ج١، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، (الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م)، ٢٨٤. رينهارت بيتر آن دُوزي (ت: ١٣٠٠هـ)، (تكملة المعاجم العربية)، ج٦، قله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م)، ٢٣٢.

((٥قال النسفي: " وكان أبو حنيفة -رحمه الله- لا يقول ذلك". أي: لا يستثني في الإيمان. النسفي، (المدارك، مرجع سابق)،.١/ ٣٦٠

((٦قال النسفي: " كان أبو حنيفة -رحمه الله- لا يقول ذلك، وقال لقتادة: لمَ تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعاً لإبراهيم -عليه السلام- في قوله: " وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين"، فقال له: هلا اقتديت به في قوله:" أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى". النسفي، (المدارك، مرجع سابق)،.١/ ٣٦٠

((٧الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ١٩٦/٢. وقتادة هو: بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب، ولد سنة ستون او إحدى وستون من الهجرة، تابعي ثقة حافظ حجة في الحديث، ضرير أكمه، قال أبو حنيفة: " قتادة =أحفظ أهل البصرة"، قدوة المفسرين والمحدثين، مات في البصرة سنة سبع عشرة ومائة. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٧/ ٢٢٩. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)،.٥/٢٧٠

قوله: "فقال" أي: أبو حنيفة. قوله: "مراتب بعضها فوق بعض"، في البيضاوي: "لهم درجات عند ربهم، كرامة وعلو منزلة. وقيل: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم". انتهى .[١]

قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ إلى آخره[٢]. عبارة السمين قوله: "كما أخرجك ربك فيه عشرون وجه[٣]ا: (أحدها) أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره: الأنفال ثابتة لله ثبوتاً كما أخرجك. أي: ثبوتاً بالحق كإخراجك من بيتك بالحق، يعني أنه لا مرية في ذلك. (الثاني) أن تقديره: وأصلحوا ذات بينكم إصلاحاً كما أخرجك، وقد التفت من خطاب الجماعة إلى خطاب الواحد. (الثالث) تقديره: وأطيعوا الله ورسوله طاعة ثابتة محققه كما أخرجك. أي: كما أن إخراج الله إياك لا مرية فيه ولا / شبهة. (الرابع) تقديره: يتوكلون توكلاً حقيقياً كما أخرجك ربك. (الخامس) تقديره: هم المؤمنون حقا كما أخرجك، فهو صفة لحقاً. إلى أن قال: (الخامس عشر) أنها في محل رفع على خبر ابتداء لمضمر تقديره: هذه الحال كحال اخراجك. بمعنى أن حالهم في كراهة ما رأيت في تنفل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب. (السادس عشر) أنها صفة لخبر مبتدأ وقد حذف ذلك المبتدأ وخبره، والتقدير: قسمتك الغنائم حق كما كان إخراجك حقا. (السابع عشر) أن التشبيه وقع بين إخراجين، أي: إخراج ربك إياك من بيتك وهو مكة وأنت كاره للخروج وكان عاقبة ذلك الإخراج النصر والظفر كإخراجه إياك من المدينة وبعض المؤمنين]كاره[[٤] في أنه يكون عقيب ذلك الخروج الظفر والنصر والخير، كما كانت عقيب ذلك الخروج الأول. انتهى.[٥]

((١ينظر: البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)، ٣/٥٠.

((٢قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٥.

((٣السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥/٥٥٩-٥٦٣. وينظر: ابن عطية، (المحرر الوجيز، مرجع سابق)، ٢/ ٥٠٢.

((٤ساقط، والمثبت من السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥/٥٦٢.

((٥قال السمين الحلبي بعد ذكر هذه الأقوال:" وهذه الأقوال مع كثرتها، غالبها ضعيف، وقد بَيَّنت ذلك". السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥/٥٦٣. وقال الفراء ﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يصنع فيها ما يشاء، فسكتوا وَفِي أنفسهم من ذَلِكَ كراهية. وهو قوله: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ عَلَى كره منهم، فامض لأمر الله فِي الغنائم كما مضيت عَلَى مُخْرجك وهم كارهون". وقد استحسن هذا القول النحاس في أعراب القرآن. أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، (معاني القرآن)، ج١، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف، والترجمة – مصر، (الطبعة: الأولى)، ٤٠٣. أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، (إعراب القرآن)، ج٢، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ)، ٩٠. ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ١٣/ ٣٩٣.

"وذلك أن عير قريش"[١] العير: (بكسر العين) الإبل التي تحمل التجارة والمتاع[٢]. قوله: "منهم أبو سفيان"[٣] (٣) أي: وعمرو بن العاص[٤] (٤) ومخرمة بن نوفل[٥] -رضي الله عنهم- وعمرو بن هشام (هو أبو جهل)[٦]. قوله: "علمت قريش" أي: بأخبار [ضمضم][٧] بن عمرو الغفاري[٨] الذي اكتراه[٩] أبو سفيان ليذهب إلى قريش

((١قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٥ " في موضع الحال أي: أخرجك في حال كراهتك، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً، منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبي -عليه السلام- فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا علمت قريش بذلك، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفي". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١/ ٦٣١.

((٢ينظر: أبو نصر الجوهري، (الصحاح، مرجع سابق)، ٧٦٢/٢، مادة (عِير). أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، (مجمل اللغة)، ج١، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، (الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ٦٣٩، باب: العين والراء.

((٣الصحابي الجليل أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، سيد البطحاء، ولد قبل الفيل بعشر سنوات، كان يكنى أبو حنظله، والد معاوية، أسلم عام الفتح، من الصحابة، شهد غزوة حنين والطائف، أعطاه النبي -صلى الله عليه وسلم- من غنائم حنين مائة من الإبل، فقال: (فداك أبي وأمي يا رسول الله، والله إنك لكريم، حاربتك فنعم محاربتي، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت)، توفي سنة إحدى وثلاثون من الهجرة، ودفن بالبقيع، وعمره ثمان وثمانين سنة. ينظر: أبو نعيم، (معرفة الصحابة، مرجع سابق)، ١٥١٠/٣. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)،)الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، ج٢، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، ٧١٤. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، (أسد الغابة)، ج٣، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، (الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ٩.

(٣)[٤]

((٥الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي، يكنى أبو عبد الله، وقيل أبو محمد، أسلم قبل الفتح بستة أشهر، أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم من عنده من المسلمين فلم يفعل، بعثه الرسول-صلى الله عليه وسلم- أميرا إلى ذات السلاسل، توفي في مصر وكان والياً عليها سنة ٤٣هـ، وعمره ٩٠سنة، ودفن بالمقطم. ينظر: عز الدين ابن الأثير الجزري، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ٢٣٢/٤. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)، ١١٨٤/٣. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، (معرفة الصحابة)، ج٢، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض
(الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، ٥.

(٤)[٦]

((٧الصحابي الجليل مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، له صحبة، أبو المسور القرشي، يعد من الطلقاء، من مسلمة الفتح، حسن إسلامه، كان له سن وعلم بأيام قريش وأحد علمائها، كان نبيهاً، كساه النبي-صلى الله عليه وسلم حلةٌ فباعها بثمن كثير، مات بالمدينة زمن معاوية سنة ٥٤هـ، بعد أن كُفَّ بصره وعمره ١١٥سنة. ينظر: البخاري، (التاريخ الكبير، مرجع سابق)،١٥/٨. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)، ١٣٨٠/٣. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)،٢/٥٤٢.

((٨هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، كان هو وابنه عكرمة من أشد المعادين لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- قتل هو يوم بدر مشركاً، وهدى الله ابنه عكرمة للإسلام، وهو أحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية، يكنى أبو الحكم، ومن ثم كناه المسلمون (أبا جهل)، وقيل كناه الرسول-صلى الله عليه وسلم-، قتل في معركة بدر سنة ٢هـ. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٤٠٤/٧. يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، (تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، ج٢٠، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠)، ٢٤٧.

((٩في الأصل (ضمضمة)، والمثبت من جميع كتب السير والتراجم (ضمضم) بدون تاء مربوطة.

ويُعلِمهم بخروج محمد لأخذ القافلة، وأبو سفيان علم بذلك من السفرة المارين في الطريق.

قوله: "وهو النفير" النفير: اسم لكل عسكر مجتمع، لكنه في اللغة مقيد بكونه من الثلاثة إلى العشرة، كما في المختار والقاموس.[١]

فإطلاقه على عير قريش المراد هنا مجاز. وقوله: " فقيل له"[٢]، أي: لأبي جهل. وقوله:" ونجت" أي: نجت العير من المسلمين. والمراد بالساحل ساحل البحر. وقوله:" وسار بمن معه إلى بدر"، أي: لقتال محمد-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه. وبدر: اسم رجل حفر تلك البئر واستنبط ماءها فسمي به، كذا / في حاشية الشهاب على البيضاوي .[٣]

قوله: "إحدى الطائفتين" أي: العير التي معها المال، والطائفة الأخرى كفار قريش. فلما نجت العير وعده الله الظفر بالفرقة المقاتلة. قوله: "فأحسنا" أي: في القول واتباع أمر النبي -صلى الله عليه وسلم-[٤]. قوله: "انظر أمرك" أي: ما تريد، وافعل

((١لم أقف على ترجمته سوى ذكر قصته ضمن حديث رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب الذي سيأتي ذكره، وهو أنه رجل بعثه أبو سفيان إلى قريش يستنفرهم إلى نصرة رجاله وأموالهم؛ وذلك عندما علم أن رسول الله-صلى الله =عليه وسلم- أرسل رجاله للقاء القافلة، فبعثه وأستقر ببطن الوادي وهو يصرخ ويقول: "يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد -صلى الله عليه وسلم- في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث". ينظر: أبو الحسن عز الدين بن الأثير الجزري، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ١٨٣/٧. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)، ٣٢٢/١. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، (البداية والنهاية)، ج٣، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م)، ٣١٥.

((٢(اكترى) بمعنى: اشترى. ينظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، (لسان العرب)، ج١٤، الناشر: دار صادر – بيروت، (الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ)، ١٤٧، (فصل: الجيم).

((٣زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مختار الصحاح، مرجع سابق)، ٣١٥/١، مادة: (نفر). مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)،)القاموس المحيط)، ج١، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ٤٨٥، (فصل: النون).

((٤قال النسفي: " فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت، فأبى وسار بمن معه إلى بدر، وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة، ونزل جبريل -عليه السلام- فقال: يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفيتن إما العير وإما قريشاً، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحباه وقال العير أحب غليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال أن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل. فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبى -صلى الله عليه وسلم- أبو بكر وعمر -رضى الله عنهما- فأحسنا، وقام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ". النسفي، (المدارك، مرجع سابق(،. ٦٣٢ /١

فنحن لا نخالفك. وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يخشى مخالفة الأنصار؛ لأنهم شرطوا عليه في بيعة العقبة[١] ن ينصروه على من آذاه وهو في المدينة.

قوله: "لو سرت إلى عدن أبين"[٢] أي: إلى أقصى اليمن، وأبين بفتح الهمزة. وعن سيبويه[٣] نها مكسورة، اسم رجل عدن بها أي: أقام، فسميت به. انتهى شهاب.[٤]

قوله: "واستعرضت بنا هذا البحر"[٥] أي: لو عبرته عرضاً وهو أشق من طوله. وقيل معناه: طلبت من البحر عرض ما عنده من الأمواج والأهوال وأنت فيه. انتهى شهاب.[٦]

قوله: "مصارع القوم" أي: المحال التي فيها جثت قتلاهم.[٧]

وفي البيضاوي:[٨] ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [٩]ي موضع الحال أي: إخراجك في حال كراهتهم، وذلك أن عير قريش أقبلت وفيها تجارة عظيمة، ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمر بن هشام هو (أبو جهل)، فأخبر جبريل-عليه السلام- رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، فأخبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال، فلما خرجوا

((١شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٢٥٣/٤. وينظر: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت: ٩١١هـ)، (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى)، ج ٤، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ)، ٢٦.

((٢قصد بهما: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب-رضي الله عنهما-، أحسنا في اتباع ما أمر به رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من مقابلة العدو. ينظر: النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١/٦٣١.

((٣هي البيعة التي بايع فيها الأنصار النبي -صلى الله عليه وسلم- على نصرته، وسميت بذلك؛ لأنها كانت عند منطقة العقبة بمنى، وكانت من مقدمات هجرته -صلى الله عليه وسلم- للمدينة. ينظر: ابن كثير، (البداية والنهاية مرجع سابق)(، ١٧٧/ ٢.

((٤قال النسفي: " فقال: انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١/٦٣٢.

((٥أبو بِشْرَ عمرو بن عثمان بن قَنْبرَ الفارسي، الملقب سيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي؛ كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، حجة العرب، طَلَبَ الفِقْهَ وَالحَدِيْثَ مُدَّةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى العَرَبِيَّةِ، فَبَرَعَ وَسَادَ أَهْلَ العَصْرِ، أخذ النحو من الخليل، وتوفي سنة ١٨٠هـ في شيراز، وهو أصح الروايات وأشهرها، وقد عاش ٣٢سنة. ينظر: ابن خلكان، (وفيات الأعيان، مرجع سابق)، ٤٦٣/٣. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)، ٨/٣٥١.

((٦شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٤/٢٥٣.

((٧قال النسفي إكمالاً للقصة: " وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته فخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله، ففرح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونشطه قول سعد، ثم قال: (سيروا على بركة الله ابشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم). النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)(، ١/ ٦٣٢.

((٨شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٤/٢٥٣.

((٩الجوهري، (الصحاح، مرجع سابق)، ١٢٤٣/٣، مادة: (صرع).

بلغ الخبر أهل مكة، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: "يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول يمركم، أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً"[١]. وقد رأت بذلك عاتكة بنت عبد المطلب[٢] ن ملكاً (بفتح اللام) نزل من السماء وأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبقى بيت في مكة إلا أصابه شيء منها، فحدَّثت بها العباس[٣]، بلغ ذلك / أبو جهل فقال: ما نرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تنبأت نساؤهم، إلى آخر القصة.[٤] قوله:

"النجاء النجاء" وهو بالفتح والمد: الإسراع .[٥]قوله: "على كل صعب وذلول" أي: على كل مركوب صعب لا ينقاد، وذلول منقاد للركوب. والمراد: عدم التربص واختيار ما يركب[٦]. قوله: "أموالكم" بدل من عيركم، أو خبره إن رفع وإن نصب فتقديره: أدركوا. قوله: "وقد رأت" جملة حالية وهي من رؤيا المنام. وقوله: "حلَّق" بمعنى: ارتفع، وأصله من تحليق الطائر وهو استدارته في الهواء. وضِمن حلق معنى

((١البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)، ٣/٥٠.

((٢سورة الأنفال، آية: ٥.

((٣ينظر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، (دلائل النبوة)، ج٣، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ)، ١٠٢-١٠٤.

((٤عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، شاعرة، عمة الرسول-صلى الله عليه وسلم-، أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، تزوجها في الجاهلية أبو أمية بن مخزوم، من أوفر نساء قريش عقلاً، وأحسنهن منطقاً، أختلف في إسلامها، حيث ذكر أنه لم يسلم من عمات الرسول-صلى الله عليه وسلم- سوى صفية، صاحبة الرؤيا الدالة على مصاب أهل بدر، ولم تذكر لها سيرة في غير هذه، لم يذكر لها تاريخ وفاة. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٤٣/٨. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)، ٤/١٨٨٠.

((٥العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة، أبو الفضل القرشي، ولد قبل الفيل بثلاث سنوات، عم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه إلى أن أسر في بدر فأظهر إسلامه، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، جد الخلفاء العباسيين، أجود قريش كفاً، كما وصفه الرسول-صلى الله عليه وسلم-، كانت له سقاية الحاج وعمارة البيت الحرام، توفي سنة ٣٤هـ لسبع سنين مضت من خلافة عثمان بن عفان. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٤/ ٥. أبو نعيم، (معرفة الصحابة، مرجع سابق)، ٤/٢١٢٠.

((٦ينظر: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، (المغازي)، ج١، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، (الطبعة: الثالثة - ١٩٨٩/١٤٠٩)، ٤١. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، (السيرة النبوية لابن هشام)، ج١، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م)، ٦٠٧.

رمى أي: رامياً بها[١]. قوله: "يتنبؤوا" أي: يدّعوا النبوة، يعنى به بني هاشم. انتهى شهاب.[٢]

قوله: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ ﴾إلى آخره[٣]، هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة إخباراً عن حالهم بالمجادلة. ويحتمل أن تكون حالاً ثانية أي: أخرجك في حال مجادلتهم إياك. ويحتمل أن تكون حالاً من الضمير في (لكارهون) أي: لكارهون في حال الجدال. ومعنى المجادلة قولهم: كيف نقاتل ولم نستعد للقتال. انتهى سمين.[٤]

قوله: "بحال... إلى آخره"[٥] أي: بجامع الكراهة في كل. قوله: "وقيل كان خوفهم لقلة العدد" إلى آخره[٦].اعتذارا عن مخالفتهم للنبي –صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، منهم فارسان، وقيل فارس واحد، والمشركون ألف ذو عدد وعدة. و(رَجَّالة) بفتح وتشديد: جمع راجل وهو الماشي[٧]، والفارسان هما: المقداد بن الأسود[٨]، والزبير بن العوام. انتهى شهاب .[٩]

((١ ينظر: الجوهري، (الصحاح تاج اللغة، مرجع سابق)، ٢٥٠١/٦، مادة: (نجا). محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، (تهذيب اللغة)، ج١١، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م)، ١٣٣.

((٢ينظر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، (النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق)، ٢٩/٣، مادة: (صعب). الفيروز آبادي، (القاموس المحيط، مرجع سابق)، ١٠٠١/١، باب: (الام) فصل: (الراء).

((٣ينظر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، (النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق)، ٤٢٦/١، مادة: (حَلَق). زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مختار الصحاح مرجع سابق)، ٧٨/١، مادة: (ح ل ق).

((٤ينظر: شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)،.٤/٢٥٣

((٥قال تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٦.

((٦ينظر: السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)،.٥/٥٦٣

((٧قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٦: " شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يُسار بهم إلى الظفر والغنيمة، بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغَّار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)،.١/٦٣٢

((٨قال النسفي: "وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)،.١/٦٣٢

((٩ينظر: الجوهري، (الصحاح تاج اللغة، مرجع سابق)، ١٧٠٥/٤، مادة: (رجل). ابن فارس، (مجمل اللغة، مرجع سابق)، ٤٢٢/١، (باب: الراء والجيم).

قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾[1] كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله تعالى بالمؤمنين مع ما بهم من الجزع وقلة الحزم، (فإذْ) نصب على المفعولية بمضمر إن كانت متصرفة، أو ظرف لمفعول ذلك الفعل. وهو خطاب للمؤمنين بطريق التلوين والالتفات[2]. (وإحْدَى) / مفعول ثان (ليَعِدُ) وهو يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه وبالباء، أي: اذكروا وقت أو الحادث، وقت وعد الله تعالى إياكم إحدى الطائفتين. وقرئ (يعدُكم) بسكون الدال مخففاً، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها. انتهى ألوسي .[3]

قوله: "وذات الشوكة ذات السلاح" ذات الشوكة هي: النفير ورئيسهم أبو جهل، وغيرها العير ورئيسهم أبو سفيان[4]. والتعبير عنهم بهذا العنوان؛ للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفورهم عن موافات النفير. والشوكة في الأصل واحدة الشوك المعروف، ثم استعير للشدة والحدة، وتطلق على السلاح أيضاً، وفسرها بعضهم به هنا. انتهى ألوسي.[5]

"بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة"[6] في أبي السعود أي: "بآياته المنزلة في هذا الشأن، أو بأوامره للملائكة بالإمداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر. وقرئ بكلمته. انتهى" .[1]

((1الصحابي الجليل المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي الزهري، يكنى أبا معبد وقيل أبا عمرو، نسب إلى الأسود بن يغوث لأنه تبناه في الجاهلية، آخى الرسول-صلى الله عليه وسلم -بينه وبين عبد الله بن رواحة، روى عنه علي وابن عباس-رضي الله عنهم-، من السابقين الأولين للإسلام، شهد بدر، كان يوم الفتح على ميمنة الرسول-صلى الله عليه وسلم-، توفي سنة ٣٣هـ، دفن بالجرف قرب المدينة، وعمره ٧٠سنة. ينظر: أبو نعيم، (معرفة الصحابة، مرجع سابق)، ٢٥٥٢/٥. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)، ١٤٨٠/٤. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام)، ج٢، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، (الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م)، ٢٢٥.

((2ينظر: شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٤/٢٥٣.

((3سورة الأنفال: آية، ٧.

((4أسلوب من الأساليب التعبيرية الإبداعية في اللغة الأدبية، وهو في اصطلاح البلاغيين: التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: التكلم - والخطاب – والغيبة. ينظر: ابن منظور، (لسان العرب، مرجع سابق)، ٨٤ /٢.

((5الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)، ٥/ ١٦٠. و (يعدُكم) بإسكان الدال قرأ بهما مسلمة بن عبد الله بن محارب، وهي قراءة شاذة. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)، ج١، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ٢٧٣.

((6النَّفِير: القوم الذين يتقدمون القافلة في الحرب، يقال: جاءت نَفْرَةُ بني فلان ونَفِيرهم، أي: جماعتهم الذين ينفرون في الأمر. والعِير: هي الأبل التي تحمل الميرة، أي: المتاع. ينظر: الجوهري، (الصحاح تاج اللغة، مرجع سابق)، ٨٣٣/٢، مادة (نفر). ابن فارس، (مقاييس اللغة، مرجع سابق)، ٤٥٩/٥، مادة (عير).

وفي الشهاب: "وقراءة بكلمته لجعلها كالشيء الواحد، وهي كلمة (كن) التي هي عبارة عن القضاء والتكوين". انتهى.[٢]

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ إلى آخره[٣]. تذكيراً لهم بنعمة أخرى، فهو في المعنى معطوف على قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إلى آخره.[٤] والمقام للماضي؛ لأن الاستغاثة قد وقعت منهم لمَّا توافقوا على القتال وخافوا من العدو فاستغاثوا الله وقالوا: يارب انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا. وإنما عبر بالمضارع للحال الماضية، ولذلك عطف (فاستجاب لكم) بصيغة الماضي على مقتضى الواقع. وتستغيثون ربكم: تستجيرون بربكم من عدوكم، وتطلبون منه الفوز والنصر[٥]. والمستغيث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- والمسلمون معه، أو رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقط[٦]. وذُكر بلفظ الجمع على التعظيم، وممدكم: معينكم.

((١الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)، ١٦١/٥. " أي تودُّون أنَّ الطائفة التي ليسَت فيها حرب وَلا سِلاح، وهي الإبل
تكونُ لكم، وذاتُ الشوْكةِ ذاتُ السِلاح". إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، (معاني القرآن وإعرابه)، ج٢، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، (الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ٤٠٢.

((٢قصد بذلك تفسير (كلماته) في قوله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ سورة الأنفال، آية:٧.

((٣أبو السعود،)إرشاد العقل السليم، مرجع سابق(، ٤/٧.

((٤شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٢٥٤/٤. "كلها تفسير لقوله: (بِكَلِمَاتِهِ)؛ لأنها جمع يحتمل المعدودات كلها؛ لأن (الكلمة) تطلق على المنزل، كقوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ سورة الأعراف، آية: ١٥٨. وعلى "كن" بمعنى الأمر الحقيقي، أو بمعنى "قضى" على المجاز كقوله تعالى: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة آل عمران، آية: ٤٧. ينظر: الطيبي، (حاشية الطيبي، مرجع سابق)، ٧/٢٩.

((٥﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٩.

((٦﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٧.

قوله: "غيره بكسر الدال وفتحها"[١]. في السمين. قوله: "مردفين" قرأ نافع[٢] ويروى عن قنبل[٣] أيضاً (مُرْدَفين) بفتح الدال والباقون بكسرها، وهما واضحتان؛ لأنه يروى في التفسير أنه كان وراء كل مَلِكٍ مَلَكٌ رديف له، فقراءة الفتح تشعر بأن غيرهم أردفهم لركوبهم خلفهم، وقراءة الكسر تشعر بأن الراكبَ خلف صاحبه قد أرْدَفَه، فصح التعبير باسم الفاعل تارة واسم المفعول أخرى.[٤]

وجعل أبو البقاء[٥] مفعول (مُرْدِفين) يعني: بالكسر محذوفاً أي: مردفين أمثالهم. ويجوز أن يكون معنى الإرداف: المجيء بعد الأوائل، أي: جُعِلوا ردفاً للأوائل. انتهى .[٦]

((١ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٠٩/١٣. أبو السعود، (إرشاد العقل السليم، مرجع سابق)، ٨/٤. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، (فتح القدير(، ج٢، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ)، ٣٣١.

((٢ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (زاد المسير في علم التفسير)، ج٢، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ)، ١٩١. ابن عادل الحنبلي، (اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق)، ٤٦٠/٩. ورجح الألوسي في تفسيره أن المستغيث كان النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ وذلك للحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: حدثني عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قال: "لما كان يوم بدر نظر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل نبي الله -صلّى الله عليه وسلّم -القبلة ثم مد يده وجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض". أخرجه مسلم في صحيحه، (مرجع سابق)، ج٣، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ١٣٨٣، رقم:١٧٦٣. ينظر: الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)، ١٦١/٥.

((٣قال النسفي عند تفسير قوله تعالى:" {بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين} مدني، غيره بكسر الدال وفتحها، فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم، والفتح على أنه أردف كل ملك ملكاً آخر، يقال ردفه إذا تبعه وأردفته إياه إذا اتبعته". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١ /٦٣٤. "وقراءة كسر الدال أولى؛ لأن أهل التأويل على هذه القراءة يُفسِّرون، أي: أردف بعضهم بعضا، ولأن فيها معنى الفتح، وعليه أكثر القراء. ينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق)، ٣٧١/٧.

((٤نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، من القراء السبعة، ولد في حدود سنة سبعين، تابعي، عالماً بوجوه القراءات، يكنى أبو عبد الرحمن، وقيل أبو رؤيم، أصله من أصبهان، كان رئيس المدينة في القراءة، قرأ على سبعين من التابعين، كان متعبداً، قال مالك: قراءة نافع سُنة، توفي سنة ١٩٦هـ. ينظر: عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلّار الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)،)طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم(، ج١، المحقق: أحمد محمد عزوز، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)، ٧٠. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)؛ (شرح طيبة النشر في القراءات العشر)، ج١، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ٨.

((٥محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد ابن جرجة المخزومي، أبو عمر الملقب بقنبل، ولد بمكة سنة مائة وخمس وتسعين من الهجرة في أيام الأمين، إمام في القراءة متقناً ضابطاً، قرأ على أبي الحسن أحمد النبّال، وروى عن عبد الله بن كثير، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، مات سنة مائتين وإحدى وتسعين من الهجرة. ينظر: ابن السلّار الشافعي، (طبقات القراء السبعة، مرجع سابق)، ١١٢/١. شمس الدين أبو الخير الجزري، (شرح طيبة النشر في القراءات العشر، مرجع سابق)، ١/٩.

((٦السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥٦٧/٥. وينظر: أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (ت: ٨٠١هـ)، (سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي)، ج١، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، (الطبعة: الثالثة، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م)، ٢٣٣.

قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾[1] لكم، مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل، وقوله: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ ﴾ معطوف عليه، وجُرَّ باللام لفقد شرط النصب في اتحاد الفاعل كما لا يخفى. انتهى في حاشية الجمل .[2]وفي الألوسي: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ كلام مستأنف لبيان أن المؤثر الحقيقي هو الله تعالى، ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه. انتهى.[3]قوله: "بدل ثان من يعدكم... إلى آخره"[4] في البيضاوي: بدل ثان من (إذ يعدكم)؛ لإظهار نعمة ثالثة، أو متعلق بالنصر وبما في عند الله من معنى الفعل، أو بجعل، أو بإضمار اذكر. انتهى[5]. وفي الشهاب: "عليه هذا بناء على جواز تعدد البدل، والنعمة الثالثة: أن الخوف كان يمنعهم النوم فلما طمَّن الله قلوبهم نعسوا، ولذا قال ابن عباس[6] -رضي الله عنهما-: "النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان"[7]. وضُعِّف تعلقه بالنصر[8]؛ بأن فيه إعمال المصدر المعرف بأل، وفيه خلاف للكوفيين، والفصل بين المصدر ومعموله، وعمل (ما) قبل (إلا) فيما بعدها، وتعلقه بما في الظرف من معنى الفعل لتقدير ثابت ونحوه. قيل: عليه أن يلزم تقييد / استقرار النصر من الله بهذا الوقت ولا تقييد له به، ورُدَّ بأن المراد به

((1العلامة النحوي أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، محب الدين الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٣٥٨هـ، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصله من عَكْبَر (بلدة على دجلة)، بدأ حياته معيداً لابن الجوزي، من أكبر اللغويين في عصره، له من المؤلفات: (التبيان في إعراب القرآن)، (متشابه القرآن)، (عد الآي)، توفي سنة ٦١٦هـ في بغداد. ينظر: ابن خلكان، (وفيات الأعيان، مرجع سابق)،٣/١٠٠_١٠٢. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)،٢٢/٩١.

((2ينظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، (التبيان في إعراب القران)، ج٢، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٦١٧.

((3سورة الأنفال، آية: ١٠.

((4سليمان عمر منصور الجمل، (الفتوحات الإلهية على الجلالين)، ج٢، المطبعة العامرة- الشرفية- مصر، (الطبعة الأولى- ١٣٠٣هـ)، ٢٤١.

((5الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)،٥/١٦٣.

((6 قصد بذلك البدل قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ سورة الأنفال، آية: ١١. ينظر: النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١/٦٣٤

((7ينظر: البيضاوي، (أسرار التنزيل، مرجع سابق)،٣/٥٢.

((8عبد الله بْنُ عباس بن عبد المطلب بْنِ هاشم، أبو العباس، أمه لبابة بنت الحارث بْنِ حَزْنِ بْنِ بَجِيَّة بْنِ الْهَزْمِ بْنِ رُوبِيَّة بْنِ عبد الله بْنِ هلال بْنِ عامر بْنِ صَعْصَعَة الْهِلَالِيُّ، كان يسمى الحبر والبحر لكثرة علمه، وحدة ذكائه، حبر الأمة وفقيهها، ابن عم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كني بأبو العباس، ترجمان القران، دعا له الرسول-صلى الله عليه وسلم- بغزارة الفقه والعلم، كَانَ مَوْلِدُهُ عَامَ الشِّعْبِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ بِالطَّائِفِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ سَبْعِينَ من الهجرة. ينظر: أبو نعيم، (حلية الأولياء، مرجع سابق)، ١٦٩٩/٣. عز الدين ابن الأثير الجزري، (أسد الغابة مرجع سابق)، ٣/٢٩١.

نصر خاص فلا محذور في تقييده فتأمل. وفي تعلقه بجعل فصل بينهما. وفيه وجوه أُخر. انتهى.[1]

قوله: "يغشيكم مدني"[2] فيه ثلاث قراءات سبعيه:[3] يَغْشَاكم كيلقاكم من غشية إذا أتاه وأصابه. وفي المصباح[4]: غشيته أغشاه من باب تعب أتيته. ويُغَشِّيكم من أغشاه أي: أنزله بكم وأوقعه عليكم. ويُغْشِكم من غشاه تغشية غطّاه أي: يغشيكم الله النعاس أي: يجعله عليكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم. والنعاس على الأول مرفوع على الفاعلية، وعلى الأخيرتين منصوب على المفعولية.[5]

قوله: "مفعول له"[6]. في السمين: قوله: "أَمَنَةً" فيه وجهان: (أحدهما) أنها منصوبة على أنها واقعة موقع الحال، إما من الفاعل، فإن كان الفاعل النعاس فنسبة

((1أخرجه: عبد الرزاق وابن ابي شيبة والطبري وابن أبي حاتم، جميعهم عن عبد الله بن مسعود. ينظر: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، (مصنف عبد الرزاق الصنعاني)، ج٢، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ)، ٤٩٩، رقم: ٤٢١٩. أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ات: ٢٣٥هـ)، (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)، ج٤، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، (الطبعة: الأولى،١٤٠٩هـ)، ٢١١، رقم: ١٩٣٩٤. الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤١٩/١٣. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، (تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم)، ج٥، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، (الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ)، ١٦٦٤، رقم:٨٨٣٧. وذكره كلاً من: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، (الكشف والبيان)، ج٤، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م)، ٣٣٢. البغوي، (معالم التنزيل، مرجع سابق)، ٣٣٤/٣. الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ٢٠٣/٢. ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق)، ١٩/٤. قال البوصيري: " هذا إسناد رواته ثقات. ينظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت: ٨٤٠هـ)، (إتحاف الخيرة المهرة)، ج٥، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م)، ١٦٢، رقم: ٤٤٤٣.

((2ضَعَّف هذا أبو حيان في البحر المحيط، (مرجع سابق)،.٥/٢٨٠

((3شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٢٥٦/٤. ينظر: السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥٧٣،٥٧٤. ابن عادل الحنبلي، (اللباب، مرجع سابق)،٤٦٥ /٩

((4يقصد بمدني: أي في قراءة نافع. ينظر: أبو الحسن الصفاقسي، (غيث النفع، مرجع سابق(،.٨ /١

((5(يَغْشَاكم) بفتح الياء وجزم الغين وفتح الشين وألف، وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو. (يُغَشِّيكم) بضم الياء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. (يُغْشِكم) بضم الياء وجزم الغين وكسر الشين، وهي قراءة نافع. ينظر: ابن الجوزي، (زاد المسير، مرجع سابق)، ١٩٢/٣. عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري أبو حفص، سراج الدين النشَّار الشافعي المصري (ت: ٩٣٨هـ)، (المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتكرر)، ج١، المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، ١٤٢. وقوله: (مدني) قصد بها قراءة نافع كما هو متعارف عليه عند أهل القراءات.

((6أبو العباس الفيومي، (المصباح المنير، مرجع سابق)،.٢/٤٤٧

الآمنة إليه مجاز، وإن كان الباري تعالى كما هو في القراءتين الأخيرتين فالنسبة حقيقية. وإما من المفعول على المبالغة أي: جعلهم نفس الآمنة. أو على حذف مضاف أي: جعلهم ذوي أمَنة. (الثاني) أنه مفعول من أجله، وذلك إما أن يكون على القراءتين الأخيرتين أو على الأول، فعلى القراءتين الأخيرتين أمرها واضح، وذلك أن التغشية أو الإغشاء من الله تعالى، والآمنة منه أيضاً، فقد اتحد الفاعل فصح النصب على المفعول له. وأما على القراءة الأولى ففاعل يغشى النعاس، وفاعل الآمنة الباري تعالى. ومع اختلاف الفاعل يمتنع النصب على المفعول له على المشهور، وفيه خلاف اللهم إلا أن يتجوز فيجوز. انتهى.[١]

قوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ بالماء من الحدث والجنابة، وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب، / وكان المشركون قد سبقوهم إلى ماء بدر فنزلوا عليه، وأصبح المسلمون على غير ماء، وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش، فوسوس لهم الشيطان وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين، فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم؟ فأنزل الله -سبحانه وتعالى- مطراً سال منه الوادي، فشرب المؤمنين واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الأسقية وأطفأ الغبار، ولبد الأرض[٢] حتى تثبتت عليها الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك، وكان دليلاً على حصول النصر والظفر، فذلك قوله: - سبحانه وتعالى -﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[٣] انتهى من الخازن.[٤]

والكثيب: ما اجتمع من الرمل[٥]. والأعفر بعين مهملة وفاء وراء مهملة: رمل أبيض يخالطه حمرة[٦]، وتسوخ فيه أي: تغوص وتنزل فيه الأقدام للبينه.[٧]

((١ينظر: ابن الجوزي، (زاد المسير، مرجع سابق)، ١٩٢/٣. النشّار، (المكرر، مرجع سابق)، ١/١٤٢.

((٢) قال النسفي: " (أمَنَة) مفعول له: أي: إذ تنعسون أمَنة بمعنى: أمناً". النسفي، (المدارك، مرجع سابق)، ١/٦٣٤.

((٣ذكر السمين الحلبي وجهاً ثالثاً لم يذكره المصنف هنا في قوله: " أمَنَةً" وهو أنها مصدر لفعل مقدر، أي: (فأمِنتم أمنةً)". السمين الحلبي، (الدر المصون، مرجع سابق)، ٥٧٤/٥. ينظر: أبو حيان، (مرجع سابق)، ٥/٢٨١.

((٤لبد الشيء بالأرض بالفتح يلبد لُبوداً: تَلَبَّدَ بها أي لصق، وتلبدت الأرض، والمطر لبدها. ينظر: الجوهري: (الصحاح، مرجع سابق)، ٥٣٣/٢، (مادة: لبد) ابن فارس، (مجمل اللغة مرجع سابق)، ٨٠٠/١، (مادة: لبد).

((٥) سورة الأنفال، آية: ١١.

((٦علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، (لباب التأويل في معاني التنزيل)، ج٢، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ)، ٢٩٧. وقد ذكر ابن هشام في سيرته أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو من =عسكر على بئر بدر وليس المشركين، وأن ما ذكره الخازن من الأحوال السابقة الذكر كانت قبل وصولهم لبدر. ينظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٦٠٧ – ٦٢٠.

((٧ينظر: ابن فارس، (مقاييس اللغة مرجع سابق)، ١٦٢/٥، (مادة: كَثَبَ). زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مرجع سابق)، ٢٦٦/١، (مادة: كَ ثَ بَ)

قوله: ﴿ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ ﴾ الربط في اللغة: الشد[1]، وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه، والمعنى: وليربط قلوبكم بالصبر، وما أوقع فيها من اليقين.

قوله: "والرُّعْب شامي وعلي[2] " في الألوسي: "الرُّعْب بضم فسكون، وقد يقال بضمتين، وبه قرأ ابن عامر[3] والكسائي[4]: الخوف". انتهى .[5]

قوله: ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾[6] قيل: هو خطاب مع المؤمنين، فيكون منقطعاً عما قبله. وقيل: خطاب مع الملائكة، فيكون متصلاً بما قبله. قال ابن

((1ينظر: ابن فارس، (مقاييس اللغة مرجع سابق)، ٦٢/٤، (مادة: عفر). أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (أساس البلاغة)، ج ١، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م)، ٦٦٥، (مادة: ع ف ر).

((2أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، (جمهرة اللغة)، ج١، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م)، ٦٠٠، (مادة: سَوْخ). ابن منظور، (لسان العرب، رجع سابق)، ٢٧/٣، فصل الشين المعجمة.

((3ينظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، (العين)، ج٧، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ٤٢٢، (مادة: ربط). أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، (جمهرة اللغة)، ج١، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م)، ٣١٥، (مادة: ب ر ط).

((4أي: قرأ بها عبد الله بن عامر الشامي. وعلي بن حمزة الكسائي. ينظر: أبو الحسن الصفاقسي، (غيث النفع، مرجع سابق)، ١/٨.

((5عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، تابعي، أحد القراء السبعة، يكنى بأبي عمران، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، عالماً حافظاً ثقة، متقناً لما وعاه، تولى القضاء، كان إماماً لمسجد دمشق، قرأ على عثمان بن عفان-رضي الله عنه-، توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة من الهجرة، وعمره سبع وتسعون سنة. ينظر: أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (ت: ٧٤١هـ)، (الكنز في القراءات العشر)، ج١، المحقق: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)، ١٣٣. ابن السَّلَّار الشافعي، (مرجع سابق)، ٧٤/١. ابن القاصح العذري، (سراج القارئ المبتدئ، مرجع سابق)، ١/١١.

((6علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز، أبو الحسن الكوفي الكسائي، الإمام العلامة شيخ القراء والنحو، أحد القراء السبعة، من قراء الكوفة، تعلم النحو عن كبر، وجالس الخليل في البصرة، روى عن جعفر الصادق والأعمش، توفي في زنبويه سنة تسع وثمانين ومائة. ينظر: الذهبي، (تاريخ الإسلام مرجع سابق)، ٩٢٧/٤. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، (الوافي بالوفيات)، ج٢١، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، (عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ٤٨. ابن السَّلَّار الشافعي، (طبقات القراء السبعة، مرجع سابق)، ١/٢٤٥.

الأنباري[1]: "ما كانت الملائكة تعرف قتال بني آدم، فعلمهم الله ذلك بقوله: ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾[2]." قال عكرمة:[3] " يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق "[4]. وقال الضحاك[5]: "معناها: فاضربوا الأعناق"[6]. وفوق / صلة، وقيل معناها: فاضربوا على الأعناق، فتكون فوق بمعنى على، والمفعول محذوف.[7]

قوله: "يعني ضرب الهام"[8] كقوله: واضرب هامة البطل المشيح[9] أي: رأسه.

((1الألوسي، (مرجع سابق)، ١٦٦/٥. يقصد بقوله (علي)، قراءة الكسائي الكوفي. وشامي: هو قراءة ابن عامر.

((2سورة الأنفال: آية، ١٢.

((3أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، نحوي ومحدث ومفسر، من أهل السنة، ولد سنة ٢٧١هـ، علامة الآداب وأكثر الناس حفظاً لها، صنف في علوم القران والقراءات وغريب الحديث والوقف =والابتداء، حفظ مائة وعشرين تفسيراً للقران بأسانيدها، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببغداد. ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، (نزهة الألباء في طبقات الأدباء)، ج١، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، (الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ١٩٧.شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)،)معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ج٧، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)٣٠١٥.

((4ينظر: السمعاني، (تفسير السمعاني، مرجع سابق)، ٢٥٢/٢. ابن الجوزي، (زاد المسير، مرجع سابق).٢/١٩٤ .

((5عكرمة بن عبد الله البربري، مولى ابن عباس - رضي الله عنهما-، أخذ عنه العلم والتفسير، ولد سنة خمس وعشرين من الهجرة، قاض ومحدث ومفسر، أحد العلماء الربانيين، يكنى أبو عبد الله، روى عن ابن عباس -رضي الله عنه- وأبو هريرة وعلي وعائشة-رضي الله عنهم-، تكلم فيه الناس واتهموه، قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-: "أما أنا فلا أتهمه". قال عن نفسه:" إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لي خمسون باباً من العلم". توفي في القيروان سنة سبع ومائة، فقيل: "مات أفقه الناس وأشعر الناس". وعمره ثمانين سنة. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٣٨٥/٢. الصفدي، (الوافي بالوفيات، مرجع سابق)، ٣٩/٢٠. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، (تهذيب التهذيب)، ج٧، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، (الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ)، ٢٦٦.

((6أخرجه الطبري في تفسيره وابن أبي حاتم. ينظر: ابن أبي حاتم، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق)، ١٦٦٨/٥، رقم: ٨٨٧٦. الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٣٠/١٣، رقم: ١٥٧٨٧.

((7الضحاك بن مزاحم الهلالي من بني عامر بن صعصعة، أبو القاسم وقيل أبو محمد، من صغار التابعين صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، صدوق، حدث عن أبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعطاء وطاوس، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير بالري، توفي سنة خمس ومائة، وقيل اثنين ومائة. ينظر: ابن سعد، (مرجع سابق)، ٣٠٢/٦. ابن حجر العسقلاني، (تهذيب التهذيب، مرجع سابق)، ٤/٤٥٢.

((8أخرجه الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٢٩/١٣، رقم: ١٥٧٨٦. وابن أبي حاتم في تفسيره، (مرجع سابق)، ١٦٦٨/٥، رقم: ٨٨٧٦.

((9الخازن، (لباب التأويل، مرجع سابق(،.٢٩٨ /٢

قوله: ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾[1] يعني كل مفصل. وقال ابن عباس – رضي الله عنه-

" يعني: الأطراف"[2]. وهي جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين، سميت بذلك؛ لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمله بيديه[3]. وإنما خصت بالذكر من دون سائر الأطراف؛ لأجل أن الإنسان بها يقاتل، وبها يمسك السلاح في الحرب. وقيل: أنه -سبحانه وتعالى- أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الأعضاء، وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء، فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد. انتهى .[4]

قوله: "والشوى، جمع شواة وهي جلدة الرأس". انتهى مختار .[5]

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ﴾[6] إشارة إلى الضرب والأمر به، أو إلى جميع ما مر. والخطاب لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- أو لكل من ذُكر قبل

((1قال النسفي: "{فَوْقَ الأعناق} أي أعالي الأعناق التي هي المذابح تطييراً للرؤوس، أو أراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق حتى ضرب الهام". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق(، ١/ ٦٣٥.

((2جزء من قصيدة رثاء لعمر بن الإطنابة الأنصاري، من بحر الوافر، شاعر جاهلي حجازي من شعراء الخزرج، والإطنابة اسم أمه. أوله: وإجشامي على المكروه نفسي *** وضربي هامة البطل المشيح. ينظر: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، (الكامل في اللغة والأدب)، ج١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، (الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ٧٧. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (ديوان المعاني)، ج١، الناشر: دار الجيل – بيروت، ١١٤. علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (ت: ٦٥٩هـ)، (الحماسة البصرية)، ج١، المحقق: مختار الدين أحمد، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ٣.

والمشيح: من أشاح، أي: الجاد في القتال الحذر. ينظر: أبو منصور الهروي، (تهذيب اللغة، مرجع سابق)، ٩٦/٥، باب الحاء والشين. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، (تاج العروس)، ج٦، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ٥١٣، (مادة: شيح).

((3سورة الأنفال: آية، ١٢.

((4أخرجه الطبري وابن أبي حاتم وابن كثير، وذكره أبي السعود في تفسيره. ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ١٣/ ٤٣٢، رقم:١٥٧٩٢. ابن أبي حاتم، (تفسير القرآن، مرجع سابق)، ١٦٦٨/٥، رقم: ٨٨٧٩. ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق)، ٢٢/٤. أبي السعود، (إرشاد العقل السليم، مرجع سابق)، ٤/١١.

((5ينظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)،)المفردات في غريب القران)، ج١، المحقق: صفوان عدنا ن الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، (الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ)، ١٤٧، (مادة، بنَ). الفيروزآبادي، (القاموس المحيط، مرجع سابق)، ١١٨١/١، فصل الباء.

((6ينظر: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)، ج١، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، (عام النشر: ١٢٨٥ هـ)، ٥٦٠.

من الملائكة والمؤمنين على البدل، أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب، وجوَّز أن يكون خطاباً للجميع، والكاف تفرد مع تعدد من خوطب بها وليست كالضمير على ما صرحوا به. انتهى الوسي .[١]

وقوله: "والعقاب العاجل"[٢] أي: يوم بدر. قوله: "بسبب مشاقتهم" أي: عداوتهم. وإنما سميت العداوة مشاقة من شق العصا وهي المخانقة، أو لأن كلاً من المتعادين يكون في شق غير شق الآخر، كما أن العداوة سميت عداوة؛ لأن كلامهما في عُدوة بالضم أي: جانب، وكما أن المُخاصمة من الخصم بالضم وهو الجانب، كما بينه أهل الاشتقاق[٣]. وقوله: وهو الجانب تفسير للخصم أوله ولما قبله. انتهى شهاب .[٤]

قوله: "على طريق الالتفات"[٥] الالتفات من الغيبة في (شاقوا) إلى الخطاب في (ذلكم).

قوله: "فوضع الظاهر موضع الضمير". الظاهر هو (للكافرين) وُضِع موضع (لكم)[٦]. وقوله: العاجل أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ إلى آخره[٧]. "خطاب للمؤمنين بحكم كلي جاء فيما سيقع من الوقائع والحروب، جيء به في تضاعيف القصة؛ إظهاراً للاعتناء به وحثاً على المحافظة عليه". انتهى ألوسي.[٨]

((١ زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مختار الصحاح، مرجع سابق)، ١٧١/١، (مادة: شوى).
((٢سورة الأنفال، آية: ١٣.
((٣الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)،.٥/١٦٧
((٤ قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ سورة الأنفال، آية: ١٣" {ذلك} إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق(، ١/ ٦٣٥.
((٥والاشتقاق: "اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه الأصل". علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)، (رسالة منازل الحروف)، ج١، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: دار الفكر – عمان، ٦٩. وينظر: أبو الفيض مرتضى الزبيدي، (تاج العروس، مرجع سابق)، ٥٢٣/٢٥، (مادة: شقق).
((٦شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)،.٤/٢٥٨
((٧قال النسفي: " والكاف في (ذلك) لخطاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أو لكل واحد، وفي (ذلكم) للكفرة على طريق الالتفات". النسقي، (المدارك، مرجع سابق)، ٦٣٦/١. والالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو عكس ذلك. زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، (ت: ١٠٣١هـ)، (التوقيف على مهمات التعاريف)، ج١، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، (الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ٥٩.
((٨للدلالة على أن كفرهم بالله ومعاداتهم له ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- هو سبب هذا العذاب الآجل الذي حل بهم أو الجمع بينهما، أي بين العذاب العاجل والآجل. ينظر: البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)،.٣/٥٣

قوله: "حال من الذين كفروا"[1] أي: حال من المفعول به وهو (الذين)، فهو مؤول بالمشتق، أي: حال كونهم زاحفين، والمعنى على التشبيه أي: حالة كونهم كالزاحفين على أدبارهم في بطء السير؛ وذلك لأن الجيش إذا كثروا التحم بعضهم ببعض ليتراءى أن سيره بطيء وإن كان في نفس الأمر سريعاً. فالمقصود من هذه الحال بعد كون المراد التشبيه، ما يلزم هذه المشابهة وهو الكثرة. [2]

وفي المصباح: "زحف القوم زحفاً من باب نفع وزحوفاً، ويطلق على الجيش الكثير، زحف تسمية بالمصدر، والجمع زحوف مثل فلس وفلوس، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي، وزحف البعير إذا أعْيَا فَجَرَّ فِرْسِنَهُ، وأزحف بالألف لغة. ومنه قيل: زحف الماشي، وأزحف أيضاً إذا أعيا". انتهى[3]. قوله: "على إستِه" أي: دبره.[4]

قوله: "أو حال من المؤمنين" في الفخر قوله:" ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا ﴾ أي: متزاحفين نصب على الحال، ويجوز أن يكون حالاً للكفار، ويجوز أن يكون حالاً للمخاطبين وهم المؤمنون. والمعنى: إذا ذهبتم إليهم للقتال فلا تنهزموا. ومعنى (فلا تولوهم الأدبار) أي: لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم". انتهى .[5]

وفي البيضاوي[6]: "زحفاً" كثيراً، بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون، وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلاً قليلاً، وسمي به، وجمع على زحوف، وانتصابه على الحال، ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾بالإنهزام / فضلاً عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم، والأظهر أنها محكمة مخصوصة بقوله: ﴿ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ﴾ الآية[7]. ويجوز أن ينتصب زحفاً على الحال من الفاعل والمفعول أي: إن

((1قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ سورة الأنفال: آية، ١٥.

((2الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)،٥/١٦٨.

((3قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا ﴾ سورة الأنفال، آية: ١٥": (زحفاً) حال من الذين كفروا". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق(، ١/ ٦٣٦.

((4ينظر: أبو السعود، (إرشاد العقل السليم، مرجع سابق(،١٢ /٤.

((5أبو العباس الفيومي، (المصباح المنير، مرجع سابق)،١/٢٥١.

((6جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني الكجراتي (ات: ٩٨٦هـ)، (مجمع بحر الأنوار)، ج١، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م)، ٥٥.

((7أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، (مفاتيح الغيب، التفسير الكبير)، ج١٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ)، ٤٦٥.

لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا، أومن الفاعل وحده ويكون إشعاراً لما سيكون منهم يوم حنين تولوا وهم اثنتا عشرة ألفا".

وقوله: "يومئذ"[1] أي: يوم الحرب. قوله: "هو الكر بعد الفر"[2] الكر: من كر على العدو إذا حمل عليه، والفر: الرجوع.[3] قال امرؤ القيس[4]: مكر مفر مقبل مدبر معاً.[5]

وقوله: "وهو من خدع الحرب"[6] لأنه يفره بصورة انهزامه.

قوله: "ووزن مُتَحيِّز متفيعل"، والأصل]متَحَيْوز [[7]، فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء.[8]

قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ إلى آخره[1]. نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فرحاً، فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا، أنا

((1البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)، ٣/٥٣.

((2سورة الأنفال، آية: ٦٥.

((3في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ سورة الأنفال، آية: ١٦.

((4قال النسفي في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ سورة الأنفال، آية: ١٦" {وَمَن يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرّفاً} مائلاً {لقتال} وهو الكر بعد الفر، يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو من خدع الحرب". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١/ ٦٣٦.

((5أبن دريد الأزدي، (جمهرة اللغة، مرجع سابق)، ١/ ١٢٤-١٢٦.

((6هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، كنيته أبو وهب، أو أبو الحارث. قيل: إن اسمه جندح وإن امرأ القيس لقب غلب عليه، شاعر جاهلي من شعراء المعلقات، ولد في أوائل القرن السادس للمسيح في نجد، في شعره رقة اللفظ وجودة السبك وبلاغة المعاني، توفي بالجدري سنة ٥٦٥ من الهجرة. ينظر: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت: ٤٨٦هـ)، (شرح المعلقات السبع)، ج١، الناشر: دار احياء التراث العربي، (الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م)، ١٥. يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، (ديوان الحماسة)، ج١، الناشر: دار القلم – بيروت، ٢٧٧.

((7مكر مفر مقبل مدبر معاً *** كجلمود صخرً حطه السيل من عل. جزء من معلقته يصف فيها فرسه، "يقول: هذا الفرس مِكَرّ إذا أريد منه الكرّ، ومِفَرّ إذا أريد منه الفر، ومقبل إذا أريد منه إقباله، ومدبر إذا أريد منه إدباره. وقوله: معًا، يعني أن الكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله؛ لأن فيها تضادًا، ثم شبهه في سرعة مَرِّه وصلابة خلقه بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عالٍ إلى حضيض. امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: ٥٤٥ م)، (ديوان إمرء القيس)، ج١، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)، ٥٤. وينظر: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، (شرح القصائد العشر)، ج١، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، (عام النشر: ١٣٥٢ هـ)، ٣٩.

((8يقصد بذلك الكر بعد الفر من خدع الحرب

أسرت كذا، فعلمهم الله الأدب بقوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ أي: تزهقوا أرواحهم، ولكن الله قتلهم أي: أزهق أرواحهم. أو المراد: فلم تقتلوهم بقوتكم أي: فلم تؤثر قوتكم في قتلهم ولكن التأثير لله تعالى [٢].

وقوله: "شاهت الوجوه" بمعنى صارت مشوهة أي: قبيحة [٣].

وقوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ ظاهره التناقض؛[٤] حيث جمع بين النفي والإثبات. والجواب: أن المنفي الرمي بمعنى إيصال الحصى لأعينهم، والمثبت فعل الرمي [٥].

وعبارة الكرخي[٦]: " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم... إلى آخره" فيه إشارة إلى جواب عن سؤال وهو أن يقال: كيف نفى عن المؤمنين قتل الكفار مع أنهم قتلوهم يوم بدر، ونفى عن النبي –صلى الله عليه وسلم- رميهم مع أنه رماهم يوم بدر بالحصى في وجوههم؟ وحاصل الجواب: نفي الفعل عنهم وعنه / باعتبار الإيجاد، إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى، وإثباته لهم باعتبار الكسب والصورة، فقوله: (إذا رميت) أي: أتيت بصورة الرمي. انتهى.[٧]

((١في الأصل: (متحويز)، والمثبت من: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، (معاني القران وإعرابه)، ج٢، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، (الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ٤٠٦.

((٢الزجاج، (معاني القران، مرجع سابق)،٤٠٦. /٢

((٣﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة الأنفال: آية، ١٧.

((٤وذكر الواحدي في سبب نزولها غير ذلك. وقصد به الجزء الآخر من الآية، وهو قوله تعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى). ينظر: الواحدي، (أسباب النزول، مرجع سابق)، ١/ ٢٣٧. والحديث في سبب نزول الآية أخرجه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٣٥٧، رقم: ٣٢٦٣. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

((٥أبو منصور الهروي الأزهري، (تهذيب اللغة، مرجع سابق)، ١٩٠/٦، (باب: الهاء والشين). الجوهري، (الصحاح، مرجع سابق)، ٢٢٣٨/٦، (مادة: شوه). وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، ٢/ ٢٠: " ثبت عن غير واحد من الأئمة أن هذه الآية نزلت في يوم بدر وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم- فعل ذلك يوم حنين أيضا ".

((٦الأولى ألا يقال مثل هذه العبارة من قبل المصنف، لأن الله تعالى قال: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ سورة هود، آية:١. وقال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ سورة النساء، آية: ٨٢. حيث لم يذكرها أحد من المفسرين. والله أعلم.

((٧ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٤٢/١٣. الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ٢/٢٠٧.

قوله: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [٢] [١]أي: الإبلاء. وقوله:" بلاء" البلآء: اسم مصدر لأبلى، والمراد هنا المبلو به أي: المعطي بدليل [تبيينه][٣] بالغنيمة. والإبلاء يستعمل في الخير والشر على حد، وبلوناهم بالحسنات والسيئات، والمراد هنا الخير.[٤]

وفي أبي السعود: "واللام في قوله: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ ﴾ أي: ليعطيهم من عنده تعالى، ﴿ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: عطاء جميلاً غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره. إما متعلقةٌ بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية أي: وللإحسان إليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل، لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعاً. وإما يرمي فالواو للعطف على علةٍ محذوفة أي: ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى... إلى آخره .[٥]

((1الشَّيْخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الكَرْخِي، أبو عبد الله، الإمَام العَالم الفَاضِل الحَافِظ، صنف في التَّفْسِير قد يعرف بتفسير الكَرْخِي فِي سِتَّة أسفار ضخام وَسَمَاهُ (مجمع البَحْرين ومطلع البدرين)، وَهُوَ من أجل التفاسير، عالم وفقيه وأصولي، كَانَت وَفَاته فِي سنة ١٠٠٦هـ في مصر. ينظر: الذهبي،)سير أعلام النبلاء مرجع سابق(، ٣٨/١٢. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، (كشف الظنون)، ج١، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١م/ ٤٤٥. وكتابه هو "مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الجلالين". لم أقف عليه. ينظر: حاجي خليفة، (كشف الظنون، مرجع سابق(، ١/ ٤٤٥.

((2الشَّيْخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الكَرْخِي، أبو عبد الله، الإمَام العَالم الفَاضِل الحَافِظ، صنف في التَّفْسِير قد يعرف بتفسير الكَرْخِي فِي سِتَّة أسفار ضخام وَسَمَاهُ (مجمع البَحْرين ومطلع البدرين)، وَهُوَ من أجل التفاسير، عالم وفقيه وأصولي، كَانَت وَفَاته فِي سنة ١٠٠٦هـ في مصر. ينظر: الذهبي،)سير أعلام النبلاء مرجع سابق(، ٣٨/١٢. مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، (كشف الظنون)، ج١، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١م/ ٤٤٥. وكتابه هو "مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الجلالين". لم أقف عليه. ينظر: حاجي خليفة، (كشف الظنون، مرجع سابق(، ١/ ٤٤٥.

((3ينظر: سليمان الجمل، (حاشية الجلالين، مرجع سابق)، ٢/ ٢٤٥- ٢٤٦. الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، (حدائق الروح والريحان)، ج١٠، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، ٣٧٥.

((4سورة الأنفال: آية، ١٧.

((5لحق من حاشية المخطوط اليمنى.

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ إلى آخره[1]. (ذلكم) مبتدأ وخبره محذوف أي: ذلكم الإبلاء حق. وقوله: (وأن الله) معطوف على المبتدأ فهو مبتدأ ثان وخبره محذوف أي: وتوهين الله كيد الكافرين حق. (مُوهِن) مُضْعِف[2]. قوله: "مُوهِنُ كَيْدِ شامي" قرأ ابن عامر والكوفيون[3]: (موْهن) بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم[4] ونَوّن موهن غير حفص. وقرأ الباقون: (موَهن) بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين[5]. فكيد منصوب على المفعول به في قراءة غير حفص[6]، ومخفوض في قراءة حفص، وأصلة النصب، وقراءة الكوفيين جاءت على الأكثر[7]. وفي الزمخشري: "وقرئ (موهّن) بالتشديد، وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال" .[8]قوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾[9] خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم؛ لأنهم / الذي وقع بهم الهلاك والذلة. والفتح: القضاء أي: حكم الله فيكم

((1ينظر: الزجاج، (معاني القرآن، مرجع سابق)، ٤٠٧/٢. ابن فارس، (مقاييس اللغة، مرجع سابق)، ٢٩٣/١، (مادة: بلوى). زين الدين أبو عبد الله الرازي، (مختار الصحاح، مرجع سابق)، ٤٠/١، (ب ل ا).

((2أبو السعود، (إرشاد العقل السليم، مرجع سابق)،.٤/١٣

((3سورة الأنفال، آية: ١٨.

((4ينظر: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، (تفسير الجلالين)، ج١، الناشر: دار الحديث – القاهرة، (الطبعة: الأولى)، ٢٣٠.

((5هم: قراء الكوفة: حمزة وعاصم والكسائي. وينضم إليهم خلف في القراءات العشر. ينظر: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، (السبعة في القراءات)، ج١، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ)، ١٦٣.

((6وهي قراءة: يعقوب وعاصم من رواية شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر. ينظر: محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: ١٤٢٢هـ)،)الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر)، ج٣، الناشر: دار الجيل-بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ٢٦٤. وقوله: (شامي) قصد بها قراءة ابن عامر كما هو متعارف عليه عند علماء القراءات. و (الكوفيون)، هم: عاصم وحمزة والكسائي.

((7ينظر: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، (التيسير في القراءات السبع)، ج١، المحقق: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١١٦. وهي قراءة أهل الحرمين نافعاً وابن كثير وأبي عمرو، كما ذكر ذلك النحاس، (مرجع سابق)،.٢/ ٩٣

((8أبو عمرو حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوريّ، وهو أحد رواة الإمام الثالث أبي عمرو بن العلاء، مات سنة ٢٤٦هـ. ينظر: ابن القاصح العذري، (سراج القارئ المبتدئ، مرجع سابق)، ١٢/١. محمد محيسن، (شرح طيبة النشر، مرجع سابق)،.١/٤٥

((9ينظر: أبو عمر الداني، (التيسير في القراءات السبع، مرجع سابق)، ١١٦/١. أبو حيان، (البحر المحيط، مرجع سابق)، ٤٧٣/٤. وقد ذكر الزجاج أربعة أوجه في هذه القراءات، وجهان في النصب ووجهان في الجر، فذكر بالإضافة إلى هذه القراءات، على الإضافة (موهن كيد)، لكنه لم يصرح بأنها قراءة. ينظر: الزجاج، (معاني القرآن، مرجع سابق)، ٤٠٧/٢. وقرأ حفص عن عاصم (مُوهِنُ كَيْدِ الكافِرينَ) بالإضافة وكسر الدال.. ينظر: النحاس، (إعراب القران، مرجع سابق)، ٩٤/٢. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (بحر العلوم)،.٢/١٣

بهلاككم[1]. وفي البيضاوي: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾" خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، في قوله: (جاءكم الفتح)؛ لأن الذي جاءهم الهلاك والذلة. وقيل: الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول- صلى الله عليه وسلم- فهو خير لكم، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو، ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر، فإنه مع الكاملين في إيمانهم. ويؤكد ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ ﴾[2] أي: ولا تتولوا عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه". انتهى بتصرف .[3]

قوله: "بالفتح مدني وشامي"[4] أي: بفتح همز أن[5] وفي البيضاوي: " وقرأ نافع وابن عامر وحفص (وأنَّ) بالفتح على [تقدير[6] ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك".[7]

(فائدة) عن عبد الرحمن بن عوف قال: "إني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا انا بغلامين من الأنصار حديثة اسنانهما، فغمزني فقال: أي عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي؟ قال: أُخبرت انه يسب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فنظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فنبهتهما اليه فقتلاه وأخذ سلبه بأمر من النبي -صلى الله عليه وسلم تسليما-.[8]

((1الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ٢٠٨/٢. وقرأ (موهن) بالتشديد كلاً من: نافع وابن كثير وابن عمرو. ينظر: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي ٤٠٣هـ)، (حجة القراءات)، ج١، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، ٣٠٩.

((2سورة الأنفال: آية، ١٩.

((3ينظر: ابن عطية، (المحرر الوجيز، مرجع سابق)،. ٢/ ٥١٢

((4سورة الأنفال، آية: ٢٠.

((5ينظر: البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)،. ٣/٥٤

((6قال النسفي عند تفسير (أن):" (وَأَنَّ الله مَعَ المؤمنين) بالفتح مدني وشامي". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ٦٣٨/١. وهي قراءة نافع المدني، وابن عامر الشامي.

((7بمعنى: أنه لن تغني عنكم فئتكم من الله شيئاً. ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ١٣/ ٤٥٧.

((8ساقط، والمثبت من البيضاوي. ينظر البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)،. ٣/٥٤

قوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[1] استئناف سوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم / مبالغة في التحذير وتقريراً للنهي إثر تقرير أي: إن شر ما يدب على الأرض، أو شر البهائم عند الله أي: في قضائه وحكمه. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي"[2] كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم- فقتلوا جميعاً يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء، ولم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير[3] وسويبط ابن حرملة[4]. وإطلاق الدابة على الإنسان حقيقي؛ لما ذكروه في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدمياً، وفي المصباح: الدابة كل حيوان في الأرض مميز أو غير مميز. انتهى.[5] وفي الجلالين: (الصم) عن سماع الحق، (البكم) عن النطق به. ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا ﴾ صلاحاً بسماع الحق، ﴿ لَّأَسۡمَعَهُمۡ ﴾ سماع

((1البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)، ٥٤/٣. والحجة في الفتح أنه ردّ بالواو عطفاً على (وأنَّ اللهَ مُوهِن كَيْدِ الكافرين)، وقرأت بالكسر على الابتداء، وعُلل ذلك بإعتضادها بقراءة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- (واللهُ مع المؤمنين). ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٥٧/١٣. الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، (الحجة في القراءات السبع)، ج١، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، (الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ)، ١٧٠

((2أخرجه البخاري في صحيحه، (مرجع سابق)، ٩١/٤، كتاب: فرض الخمس، باب: من قتل قتيلاً فله سلبه، رقم: ٣١٤١. وأخرجه مسلم في صحيحه، (مرجع سابق)، ٣/ ١٣٧٢، كتاب: الجهاد والسير، باب: استحقاق القاتل سلب القتيل، رقم: ١٧٥٢.

((3سورة الأنفال: آية، ٢٢.

((4 أخرجه البخاري في صحيحه، (مرجع سابق)، ٦١/٦، كتاب: تفسير القران الكريم، باب: (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)، رقم: ٤٦٤٦. وبني عبد الدار بن قصي: هم بطن من بطون قريش، نسبة إلى أكبر أولاد قصي وأخملهم ذكراً، فأراد والده أن يبقى ذكره فأسند إليه سدانة الكعبة وأورثه مفتاح الكعبة. ينظر: ابن هشام، (سيرة ابن هشام، مرجع سابق)، ١/ ١٢٠. عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ات: ٥٦٢هـ)، (الأنساب)، ج٨، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)، ٢٠٨.

((5الصحابي الجليل مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، القرشي العبدري، يكنى أبا عبد الله، كان جلة الصحابة وفضلائهم، أول من هاجر إلى الحبشة، شهد بدر وأحد، بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة ليعلم أهلها القرآن، أول من جمع الجمعة بالمدينة، حمل اللواء يوم بدر، قتل في معركة أحد شهيداً سنة ثلاث من الهجرة، وعمره أربعين سنة. ينظر: ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)، ١٤٧٣/٤. أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ١٧٥/٥. ابن حجر العسقلاني، (الإصابة مرجع سابق)،.٦/٩٨

تفهم، ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ فرضاً وقد علم أنه لا خير فيهم، ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [٤١] عن قبوله عناداً أو جحوداً. انتهى .[٢]

فقوله: "ولو أسمعهم فرضاً وقد علم أنه لا خير فيهم" جواب ما يقال إن الاستدلال بالآية على هيئة قياس اقتراني، وهو لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو اسمعهم لتولوا ينتج، لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهذا محال؛ لأن الذي يحصل منهم بتقدير أن يعلم الله فيهم خيراً هو الانقياد لا التولي. (وحاصل الجواب) أن الوسط مختلف؛ لأن الإسماع الأول المراد به الإسماع المفهم الموجب للهداية، والإسماع الثاني هو الإسماع المجرد .[٣]

(وأجيب) أيضاً: بأنه ليس المراد من الآية الاستدلال، بل بيان السببية على الأصل في (لو)، أي أن سبب انتفاء إسماعهم هو انتفاء العلم بالخير فيهم، وحينئذ فالكلام قد تم عند قوله: (لأسمعهم) ويكون قوله: (ولو أسمعهم) مستأنفاً، أي أن التولي لازم بتقدير الإسماع، فكيف بتقدير عدمه، فهو من قبيل: (نعم الرجل صهيب / لو لم يخف الله يعصه)،[٤] أي: فعدم العصيان إذا خاف الله من باب أولى، والأولى في تقرير الآية: أن الشرطية الأولى إشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه ونتيجته، و(لو) فيها امتناعية على الغالب فيها وتمام القياس هكذا، لكنه لم يسمعهم سماع تفهم فلم يعلم فيهم خيراً، يعني: علم أن لا خير فيهم. وأمالوا في الشرطية الثانية، فلا يصح أن تكون امتناعية؛ لأنه يصير المعنى انتفى توليهم لانتفاء أسماعهم، وهذا خلاف الواقع، فحينئذ هي لمجرد الربط بمعنى أنه على خلاف الغالب فيها، لكن يَرُد ما يقال إن المُقدَّم قد علم انتفاؤه بمقتضى الشرطية الأولى، فكيف يثبت ويوضع في الثانية ويعلق عليه الجزاء؟ وقد أجاب الشارح عن هذا بقوله: " فرضاً أي: لو فرض أنه أسمعهم سماع تفهم لتولوا... إلى آخره". وحينئذ يرد على التركيب أن التعليق غير صحيح؛ لأنه لو فرض وأسمعهم سماع تفهم لأجابوا وأقبلوا، وقد أجاب الشارح عن هذه بقوله: "وقد علم أنه لا خير فيهم، وهذا القيد قد علم من الشرطية الأولى؛ لأن نتيجة القياس التي أشارت إليه وبملاحظة هذا القيد يصح التعليق ويصير المعنى: وإن فرض أنه أسمعهم سماع تفهم مع علمه أنه لا خير فيهم فإنهم يعرضون ولا يقبلون، إذ لو أقبلوا أولم يتولوا لكانوا من أهل الخير، فيلزم انقلاب العلم جهلاً فليتأمل. انتهى. من حاشية الجمل .[٥]

((١الصحابي الجليل سويبط بن حرملة، ويقال بن سعد بن حريملة بن السباق بن عبد الدار القرشي البدري، أسلم قديماً، هاجر إلى الحبشة، أمه من خزاعة، شهد بدراً. ينظر: ابن عبد البر: (الاستيعاب، مرجع سابق)، ٦٩١/٢. أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ٥٩٢/٢. ابن حجر العسقلاني، (الإصابة مرجع سابق)، ٢/١٨٥.

((٢ينظر: أبو العباس الفيومي، (المصباح المنير، مرجع سابق)، ١/ ١٨٨.

((٣(٤)

((٤الجلالين، (تفسير الجلالين، مرجع سابق)، ١/٢٣٠.

((٥ينظر: فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب، مرجع سابق)، ١٥/ ٤٧٠.

وفي الفخر الرازي[1]: "(المسألة الثانية) النحويون يقولون: كلمة (لو) وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لأجل انتفاء غيره، فإذا قلت: لو جئتني لأكرمتك، أفاد أنه ما حصل المجيء وما حصل الإكرام. ومن الفقهاء من قال: انه لا يفيد إلا الاستلزام، فأما الانتفاء لأجل انتفاء الغير فلا يفيده هذا اللفظ. والدليل عليه الآية والخبر، (أما الآية) فهي هذه الآية، وتقريره أن كلمة (لو) لو أفادت / ما ذكروه لكان قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ يقتضي أنه تعالى ما علم فيهم خيراً وما أسمعهم. ثم قال: ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ ﴾ فيكون معناه: أنه ما أسمعهم وأنهم ما تولوا لكن عدم التولي خير من الخيرات. فأول الكلام يقتضي نفي الخير، وآخره يقتضي حصول الخير وذلك متناقض. فثبت أن القول بأن كلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره يوجب هذا التناقص فوجب ألا يصار إليه. (وأما الخبر) فقوله -عليه الصلاة والسلام -: (نعم الرجل لو لم يخف الله لم يعصه)[2]. فلو كانت لفظة (لو) تفيد ما ذكروه لصار المعنى: أنه خاف الله وعصاه، وذلك تناقض. فثبت أن كلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، وإنما تفيد مجرد الاستلزام. انتهى بحروفه.[3]

((1هذا القول للخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو مشهور عنه ولم يسند إلا له، كما ذكر ذلك ابن كثير. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، (مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-)، ج٢، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار الوفاء – المنصورة، (الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ٦٨١. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في هذا الحديث: " ووجهه: أن صهيباً إنما يطيع الله حباً له، لا مخافة عقابه". ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، (غريب الحديث)، ج٤، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)، ٢٨٤-٢٨٥. وذكر السخاوي والسيوطي وغيرهم كثير، أنه كلام من النحاة، ولا أصل له ولا إسناد، ولَا يوجد بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث". ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، (تدريب الراوي شرح تقريب النووي)، ج ٢، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، ٦٦٤. شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، (المقاصد الحسنة)، ج١، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي – بيرو، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)، ٧٠١. علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع)، ج١، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٣٩٨ هـ)، ٢٠٢.

((2سليمان الجمل، (حاشية الجلالين، مرجع سابق)، ٢/٣٤٧.

((3محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري الطبرستاني، أبو عبد الله، والمختار أبو الفضل، لقبه فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، ولد سنة ٥٤٤هـ، فقيه شافعي ومفسر معروف، قيل عن تفسيره" فيه كل =شيء إلا التفسير"، برع في علم الكلام والمعقولات، من مؤلفاته: (مفاتيح الغيب) و (المطالب العالية)، من تلاميذه محي السنة البغوي، توفي سنة ٦٠٦هـ ودفن بهراة. ينظر: ابن خلكان، (وفيات الأعيان، مرجع سابق)، ٢٤٨/٤. ابن كثير، (طبقات الشافعية، مرجع سابق)، ٨١/٨. السيوطي، (طبقات المفسرين، مرجع سابق)، ١/١١٥.

قوله: "كما وحده فيما قبله" أي: في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ .[1] قوله: "لأن استجابة رسول الله كاستجابته"[2] أي: وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد، كما في الكشاف[3]، وفي البيضاوي.[4]

"إذا دعاكم" وحد الضمير فيه لما سبق؛ ولأن دعوة الله تسمع من الرسول -صلى الله عليه وسلم-

وروي: أنه -عليه الصلاة والسلام- مر على أُبيّ[5] وهو يصلي، فدعاه فعجل في صلاته، ثم جاء فقال: (ما منعك عن إجابتي؟) قال: كنت أصلي، قال: (ألم تُخبَر فيما أُوحِي إليَّ استجيبوا لله وللرسول؟) .[6]

واختلف فيه فقيل: هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة، فإن الصلاة ايضاً إجابة. وقيل: أن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله، وظاهر الحديث يناسب الأول. انتهى .[7]

((1تقدم الكلام عليه، على أنه أثر لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع الاختلاف في إسناده وأصله، كما ذكرت سابقاً، وقد ذُكر أنه ليس من كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر السبكي أنه لم يجد ما يدل على أنه حديث لا مرفوعا ولا موقوفاً. ينظر: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح)، ج١، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)، ٣٤٦. إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت: ١١٦٢هـ)، (كشف الخفاء)، ج٢، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي الناشر: المكتبة العصرية، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٣٩١.

((2فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب، مرجع سابق)، ٤٧٠/١٥. وينظر: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ)، (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، ج٩، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ)، ٤٤٤٥.

((3سورة الأنفال، آية: ٢٠.

((4قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٢٤ "وحد الضمير أيضاً كما وحده فيما قبله؛ لأن استجابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كاستجابته، والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال، وبالدعوة البعث والتحريض". ينظر: النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ١/٦٣٩.

((5الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ٢/٢١٠.

((6البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)، ٣/٥٥.

((7الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج، يكنى أبا المنذر، وقيل أبو الطفيل، سيد المسلمين علماً وقرآناً وفقهاً، من كتاب الوحي، شهد بدراً والعقبة، أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بعرض القرآن عليه، أحد الستة الين انتهى إليهم القضاء من الصحابة، قيل: توفي سنة ثنتين وعشرين من الهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقيل سنة ثلاثين في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه- وهو الصحيح. ينظر: أبو نعيم: (حلية الأولياء، مرجع سابق)، ٢١٤/١. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)، ٦٥/١. أبو الحسن عز الدين بن الأثير، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ١/١٦٨.

قوله: "لا تعجبن الجهول حلته" إلى آخره[1]. في الشهاب: الحلة معروفة، ومنهم من رواه حليتة، وجوز فيه البدلية من المجهول بعد اشتمال فقد حرفه كما يدريه من يدري المعاني الشعرية. انتهى .[2]

قوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ أصل الحول كما قال الراغب :[3]تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بينهما كذا .[4]

فحقيقة كون الله حال بين المرء وقلبه أنه فصل بينهما، ومعناه الحقيقي غير متصور هنا، فهو مجاز عن غاية القرب من العبد؛ لأن من فصل بين شيئين كان أقرب إلى كل منهما من الآخر؛ لاتصاله بهما، وانفصال أحدهما عن الآخر، وهو إما استعارة تبعية[5]. فمعنى يحول: يقرب. أو استعارة تمثيلية[6]. وقيل: أن الأنسب أن يكون مجازاً مركباً مرسلاً؛ لاستعماله في لازم معناه وهو القرب وليس ببعيد. انتهى شهاب.[7]

((1أخرجه البخاري في صحيحه، (مرجع سابق)، ١٧/٦، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: ٤٤٧٤، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦.

((2البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)، ٥٥/٣. وينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق)، ٧، ٣٩٠.

((3لَا تُعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حُلَّتُهُ *** فَذَاكَ مَيْتٌ وَثَوْبُهُ كَفَنُ. البيت للزمخشري من قصيدة له مدح فيها الخليفة المؤتمن بالله، يوضح فيها أن العلم حياة والجهل موت، ونهي للجهول عن العجب والخيلاء بثيابه، لأنه كالميت في عدم النفع وعدم الإدراك. أولها: حدِّث إلى أين مرت الظُعن *** فعندهن الفؤاد مُرتهن. كما ذكر ذلك ابن شهاب. والقصيدة كاملة موجودة في نظم الآل في الحكم والأمثال. ينظر: الزمخشري، (الكشاف، مرجع سابق)، ٢/ ٢١٠. شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٢٦٣/٤. عبد الله فكري بن محمد بليغ بن عبد الله بن محمد (ت: ١٣٠٦هـ)، (نظم اللآل في الحكم والأمثال)، ج١، شرحه: عبد المعين الملوحي – دمشق، ٤٥.

((4شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٤/٢٦٤.

((5الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، الأديب المفسر، النحوي. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من مؤلفاته: (جامع التفاسير) و (المفردات في غريب القرآن)، وتفسيره أحد مآخذ أنوار التنزيل للبيضاوي، توفي سنة ٥٠٢هـ. ينظر: حاجي خليفة، (كشف الظنون، مرجع سابق)، ١/ ٤٤٧.

((6الراغب الأصفهاني، (المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق)، ١/ ٢٦٦، (مادة: حول).

((7الاستعارة: أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمل في غير ذلك الأصل وينقل نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية. والاستعارة التبعية: هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ هـ)، (أسرار البلاغة في علم البيان)، ج١، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، ٣٠. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)، (مفتاح العلوم)، ج١، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ٣٨٠.

قوله: "أي يميته فتفوته الفرصة" إلى آخره[1]. يعني أن الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت، يعني بذلك أن تبادروا في الاستجابة فيما ألزمتكم من الجهاد وغيره قبل أن يأتيكم الموت الذي لابد منه ويحول بينكم وبين الطاعة والتوبة. قال القاضي[2]: "ولذلك قال تعالى عقيبة

ما يدل عليه وهو قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ . والمقصود في هذه الآية: الحث على الطاعة قبل نزول الموت الذي يمنع منها". انتهى. من الفخر الرازي[3]. وقال الحسن:[4] "معناه أن الله حائل بين المرء وقلبه"[5]. والمعنى: أن قربه تعالى من عبده أشد من قرب قلب العبد منه. والمقصود منه التنبيه على أنه تعالى لا يخفى عليه شيء مما في باطن العبد ومما في ضميره. ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [6].

((1الاستعارة التمثيلية: هي ما كان المستعار فيها مثلاً أو تركيباً استعمل في غير ما وضع له، مع وجود علاقة مشابهة بين المستعار منه والمستعار إليه. ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، (دلائل الإعجاز في علم المعاني)، ج١، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، (الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ٦٨.

((2شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٢٦٤/٤. قال الطبري: " خبرٌ من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يُدرك به شيئًا من إيمان أو كفر، أو أن يَعِي به شيئًا، أو أن يفهم، إلا بإذنه ومشيئته". الطبري، (مجامع البيان، رجع سابق)،.١٣/٤٧٢

((3قال النسفي عند قوله تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٢٤"أي: يميته فتفوته الفرصة التي هو واحدها وهي التمكن من إخلاص القلب". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)،.١/٦٣٩

((4يقصد فخر الدين الرازي بقوله: القاضي: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني؛ لأن الأشاعرة إذا أطلقوا كلمة القاضي أرادوا الباقلاني، وإذا ذكر ذلك في الأصول والكلام من أشعري ونحوه، فالمراد أبو بكر الباقلاني. ينظر: النووي، (تهذيب الأسماء واللغات، مرجع سابق)، ١/ ١٥٦. وأبو بكر الباقلاني أصولي أشعري، محدث وفقيه ومتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة، الملقب: سيف السنة وقامع البدعة، له من المؤلفات: (إعجاز القرآن)، توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد. ينظر: ابن خلكان، (وفيات الأعيان، مرجع سابق)، ٤/ ٢٦٩. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)،. ١٩٠ /١٧

((5فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب، مرجع سابق)،.١٥/٤٧٣

((6الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من سادات التابعين، وعالم من علماء أهل السنة والجماعة، ولد سنة واحد وعشرين من الهجرة، حفظ القرآن في سن العاشرة، فقيهاً فصيحاً حجةً مأموناً، له، من شيوخه أبي بن كعب والزبير بن العوام وأنس بن مالك-رضي الله عنهم-، توفي في البصرة سنة عشرة ومائة من الهجرة، وعمره ثمان وثمانون سنة. ينظر: ابن خلكان، (وفيات الأعيان، مرجع سابق)، ٦٩/٢. السيوطي، (طبقات الحفاظ، مرجع سابق)،.١/٣٥

وقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾[1] إلى آخره. اعلم أنه تعالى كما حذر الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه، فكذلك حذره من الفتن. والمعنى: واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم / تقتصر على الظالمين خاصة، بل تتعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح.

عن الحسن: "نزلت في علي] وعثمان [[2] وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة"[3]. وقال الزبير: "نزلت فينا وقرأناها زماناً وما ظننا أنا أهلها فإذا نحن المعنيون بها" .[4]

وعن السدى[5]: "نزلت في أهل بدر، اقتتلوا يوم الجمل"[6]. وروي أن الزبير كان يسامر النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً إذ أقبل علي -رضي الله عنه- فضحك إليه الزبير، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (كيف بحبك لعلى؟ فقال: يا رسول الله أحبه كحبي لولدي أو أشد، فقال: كيف أنت إذا سرت إليه تقاتله)[7]. انتهى فخر.[8]

((1محمد عبد الرحيم، (مرويات الحسن البصري)، ج١، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عبد الرحيم، دار الحديث – جامعة الأزهر، توزيع: المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ٤٠٠. وأخرجه الشوكاني، (مرجع سابق)، ٣٤٣/٢. وينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٧٢/١٣. السيوطي، (الدر المنثور، مرجع سابق)،.٤/٤٦

((2سورة ق، آية: ١٦.

((3سورة الأنفال، آية: ٢٥.

((4في الأصل (وعمار)، والمثبت من أصل الرواية من مرويات الحسن البصري، ومن تفسير الطبري. ينظر: الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٧٣/١٣.محمد عبد الرحيم، (مرويات الحسن، مرجع سابق)،.١/٤٠٠

((5أخرجه الطبري، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٤٧٣/١٣، رقم:١٥٩٠٣. والشوكاني، (فتح القدير، مرجع سابق)، ٣٤٣/٢. وذكره كلاً من: البغوي، (معالم التنزيل، مرجع سابق)، ٢٨٣/٢. ابن الجوزي، (زاد المسير، مرجع سابق)، ٢٠١/٢، رقم:٦٣٠. وابن كثير، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق)، ٣٧/٤. والسيوطي، (الدر النثور، مرجع سابق)،.٤/٤٦

((6أخرجه أحمد في مسنده، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، ج٣، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، (الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، ٣١، رقم: ١٤١٤. وقال الارناؤوط: "إسناده جيد ورجاله ثقات رجال الشيخين". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/ ٢٢٤، رقم: ١١٩٩٨٠: "روي بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح".

((7ابن أبي كريمة، إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، الكبير، أبو محمد الحجازي، القرشي الكوفي، تابعي ومحدث ومفسر، مرتبته عند ابن حجر صدوق يهم رمي بالتشيع، من الطبقة الثالثة، روى عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه-، وروى عنه أسباط بن نصر، توفي سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٣٢٣/٦. الذهبي، (سير اعلام النبلاء، مرجع سابق(،. ٥/ ٢٦٤

((8أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، (مرجع سابق)، ٥٤٢/٧، رقم: ٣٧٨٠٥. وابن أبي حاتم في تفسيره، (مرجع سابق)، ١٦٨٢/٥، رقم: ٨٩٦٢. وذكره: الطبري في، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٣٧٤/١٣. والسيوطي، (الدر المنثور، مرجع سابق)،.٤/٤٦

قوله: " وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر لأن فيه... إلى آخره"[1].
في البيضاوي: "واتقوا فتنه... إلى لآخره" اتقوا ذنباً يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد، على أن قوله: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ إما جواب الأمر على معنى: إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم. وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة، لكنه لمَّا تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ ﴾[2] وإما صفة لفتنة و(لا) للنفي، وفيه شذوذ؛ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم، أو للنهي على إرادة القول كقوله: حتى إذا جنَّ الظلام واختلط *** جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط.[3]

وأما جواب القسم محذوف، كقراءة من قرأ (لتصيبن) وإن اختلفا في المعنى، ويحتمل أن يكون نهياً بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم، فإن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه. انتهى.[4]

قوله: "إذا عاقب" أي: من خالفه .[5]

([1])أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ آخر، (مرجع سابق)، ٥٤٥/٧، كتاب: الجمل، باب: في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير، رقم: ٣٧٨٢٨. وأخرجه البيهقي، (دلائل النبوة، مرجع سابق)،٤١٤/٦، باب: إخباره عن قتل الزبير، من حديث قتادة -رضي الله عنه-، وقال: "هذا مرسل". قال الزيلعي: "حديث غريب بهذا اللفظ". جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، (تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري)، ج ٢، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، (الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ)، ٢١.

([2])فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب، مرجع سابق)،.١٥/٤٧٤

([3])قال النسفي عند قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ سورة الأنفال، آية: ٢٥"وجاز أن تدخل النون والمؤكدة في جواب الأمر؛ لأن فيه معنى النهي كما إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)،.١/٦٣٩

([4])سورة النمل: آية، ١٨.

([5])قال البغدادي: " وَهَذَا الرجز لم ينْسبهُ أحد من الروَاة إِلَى قَائِله. وَقيل: قَائِله العجاج وَالله أعلم. عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)، ج٢، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، (الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ١١٠. وقد بحثت عنه في ديوان العجاج لعبد الملك الأصمعي، ولم أجده. والله أعلم. وذكره كلاً من: ابن جني، (المحتسب، مرجع سابق)، ٢/ ١٦٥. خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد =(ت: ٩٠٥هـ)، (شرح التصريح على التوضيح)، ج٢، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، (الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، ١١٦، رقم:٦٣٥. "والمذق: اللبن الممزوج بالماء، شبهه بالذئب لاتفاق لونهما؛ لأنّه فيه غبرة وكدرة. والمعنى: يصف الراجز قوماً نزل بهم ضيفاً، بالشّحّ والبخل، فانتظروا عليه طويلاً حتى أقبل الليل بظلامه، ثم جاءوا بلبن مخلوط بالماء يشبه الذئب في لونه؛ لكدرته وغبرته، يريد أن الماء الذي خلطوه به كثير". محمد بن محمد حسن شُرَّاب،)شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية(، ج٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م)، ٤٩.

قوله: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [1]لمَّا أمر الله / سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة، ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى: (واذكروا يا معشر المهاجرين إذا أنتم قليل) يعني في العدد، (مستضعفون في الأرض) يعني: في أرض مكة في ابتدأ الاسلام قبل الهجرة .[2]قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ إلى آخره .[3]أي: بتعطيل الفرائض والسنن، أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون، أو بالغلول في المغانم. وروى أنه -عليه السلام- حاصر بني قريظة[4] إحدى وعشرون ليلة، فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير،[5] على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات[6] وأريحاء بأرض الشام، [7]فأبى إلا ينزلوا على حكم سعد بن معاذ،[8] فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة[1] وكان مناصحاً

((1البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)(، ٥٦ – ٣/٥٥

((2قال النسفي: " {واعلموا أنَّ الله شَدِيدُ العقاب} إذا عاقب". النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)(، ٦٣٩. /١

((3سورة الأنفال، آية: ٢٦.

((4الخازن، (لباب التأويل، مرجع سابق)، ٢/ ٣٠٥.

((5قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ سورة الأنفال، آية: ٢٧.

((6قبيلة يهودية، عاشت في الجزيرة العربية في يثرب، ينتسبون إلى قريظة بن النمام بن الخزرج، كانوا أهل شرف ومال، وسيادة وقوة في يثرب قبل هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، من حلفاء الخزرج، عاهدهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعدم التعرض للمسلمين بعد رفضهم الدخول في الإسلام، لكنهم غدروا به بعد حصار قريش له، فحاربهم وقتلهم في غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة، نزلت فيهم سورة الأحزاب. ينظر: الواقدي، (المغازي، مرجع سابق)، ٤٨١/٢. ابن هشام، (السيرة، مرجع سابق)، ٢٣٨/٢. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، ج٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، (الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م)، ٥٩.

((7قبيلة يهودية، سكنت غرب الجزيرة العربية في يثرب لقرون، من حلفاء الأوس، حاربهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في غزوة بني النضير سنة أربع من الهجرة، بعد أن خرجوا عليه وحاولوا قتله، فأجلاهم وقطع نخيلهم، هدموا بيوتهم وأخذوا ما يستطيعون حمله، منهم من نزل خيبر ومنهم من ذهب إلى الشام. ينظر: الواقدي، (مرجع سابق)، ٣٨١/١ -٥٠١/٢. ابن القيم، (مرجع سابق)، ١١٧/٣ – ٦١/٥. صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، (الرحيق المختوم)، ج١، الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، (الطبعة: الأولى)، ٢٧٠.

((8بلد بطرف الشام منسوبة إلى أذرع مكان أيضاً، وهي البَثْنيّة، بينها وبين عَمّان أربعة وخمسون ميلاً، قيل: البلقان حالياً، وقيل: حوران داخل الحدود السورية، قرب مدينة درعة شمالاً. ينظر: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)، ج١، الناشر: عالم الكتب، بيروت، (الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ)، ١٣١، (مادة: أذرعات). شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، (معجم البلدان)، ج١، الناشر: دار صادر، بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م)، ١٣٠. عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (ت: ١٤٣١هـ)، (معجم المَعَالِم الجُغْرَافِيَّة فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة)، ج١، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)، ٢٢.

لهم؛ لأن عياله وماله في أيديهم. فبعثه إليهم، فقالوا: ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار إلى حلقة أنه الذبح، فقال أبو لبابة: فمازالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت. فشد نفسه على سارية في المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه. فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك، فقال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم -هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده فقال: إن من تمام توبتي ان أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي، فقال عليه السلام: (يجزيك الثلث ان تتصدق به).[٢]

وأصل الخون: النقص. كما أن أصل الوفاء التمام، واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه.) [٣] وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ (فيما بينكم، وهو مجزوم بالعطف على الأول / أو منصوب على الجواب بالواو. ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنكم تخونون، أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح. ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ ؛ لأنهم سبب الوقوع في الإثم والعقاب، أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فيه، فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ لمن آثر رضا الله عليهم وراعي حدوده فيهم، فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه. انتهى بيضاوي .[٤]

((١قرية بالشام سميت أريحا نسبة إلى أريحا ابن الملك أرفخشد بن سام بن نوح، بفلسطين حالياً. ينظر: أبو عبيد البكري الأندلسي، (معجم ما استعجم من أسماء البلاد، مرجع سابق)، ١٣٤/١، (مادة: أريح). نور الدين السمهودي، (وفاء الوفاء، مرجع سابق)،.٣/١٣٥

((٢الصحابي الجليل سعد بن معاذ بن النعمان بن إمرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، يكنى أبو عمرو، شهد أحد وبدر، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنه: (قوموا إلى سيدكم)، اهتز لموته عرش الرحمن، بكى عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى انحدرت دموعه على لحيته، ونزل بجنازته سبعون ألفاً من الملائكة، مات شهيداً يوم الخندق من سهم أصابه بالمدينة سنة خمس من الهجرة. ينظر: أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ٢٢١/٢. أبو نعيم، (الحلية، مرجع سابق)، ١٢٤١/٣. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)،.٢/٦٠٢

((٣الصحابي الجليل، اسمه بشير بن عبد المنذر، وقيل: رفاعة، كان نقيباً، شهد العقبة وأحد، ضَرب له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسهم مع أصحاب بدر. نزل فيه قوله تعالى: (وآخرون اعترفوا بذنوبهم...) سورة التوبة ١٠٩. توفي في خلافة علي-رضي الله عنه-. ينظر: أبو الحسن عز الدين بن الأثير، (أسد الغابة، مرجع سابق)، ٢٨٣/٢. ابن عبد البر، (الاستيعاب، مرجع سابق)،.٤/١٧٤٠

((٤أخرجه أبو داوود في سننه. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، (سنن أبو داود)، ج٥، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٨، باب: فيمن نذر أن يتصدق بماله، رقم: ٣٣١٩. وقال الأرناؤوط: "حسن لغيره". وعلق الألباني عليه بقوله: "أنه ضعيف، والمحفوظ أن صاحب القصة كعب بن مالك. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان)، ج٥، الناشر: دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، (الطبعة: =الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ٢٦١، باب: صدقة التطوع، رقم: ٣٣٦٠. ينظر القصة: الواحدي، (أسباب النزول مرجع سابق)،٢٣٨/١، رقم:٤٧٥. الزيلعي، (تخريج أحاديث الكشاف، مرجع سابق)،.٢٥ -٢/٢٢

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾[1] أي: إن تتقوا الله بطاعته وترك معاصيه. وفرقاناً: نوراً وتوفيقاً في قلوبكم، تفرقون به بين الحق والباطل. والفرقان أصله الفرق بين الشيئين، لكنه أبلغ من أصله؛ لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، والحجة والشبهة.[2]قال مجاهد:[3] "يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة".[4] وقال مقاتل[5]: "مخرجاً في الدين من الشبهات"[6]. وقال عكرمة: "نجاة أي: يفرق بينكم وبين ما تخافون" .[7]

وقال محمد بن اسحاق[8]: "فصلاً بين الحق والباطل، يظهر الله به حقكم ويطفئ باطل من خالفكم"[9]. وقيل: يفرق بينكم وبين الكفار، بأن يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه.

قوله: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[10] لما ذكر الله تعالى المؤمنين نعمه عليهم بقوله: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ

([1])ينظر: ابن فارس، (مجمل اللغة، مرجع سابق)، ٣٠٧/١، باب: (الخاء والواو). أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ)، (الغريبين في القرآن والحديث)، ج٢، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، (الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ٦٠٦، (مادة: خوى).

([2])البيضاوي، (مرجع سابق)، ٣/٥٦.

([3])سورة الأنفال، آية: ٢٩.

([4])الخازن، (لباب التأويل، مرجع سابق)، ٣٠٦/ ٢.

([5])الإمام شيخ القراء والمفسرين، مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المكي، مولاهم، إمام في العلم، له تفسير مجاهد المشهور، مات سنة أربع ومائة من الهجرة، وعمره ثلاث وثمانون سنة. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٤٦٦/٥. الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)، ٤/٤٤٩.

([6])أورده مجاهد. أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، (تفسير مجاهد)، ج١، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، (الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م)، ٣٥٤. وذكره ابن أبي حاتم في، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق)، ١٦٨٦/٥، رقم: ٨٩٨٨. وابن كثير في تفسيره، (تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق)، ٤/٤٢.

([7])أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، صاحب التفسير، أصله من بلخ، ورحل إلى بغداد، أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، قال أبو داوود وأبن أبي حاتم عنه: أنه متروك الحديث؛ لأنه يأخذ من اليهود والنصارى، توفي سنة خمسين ومائة في البصرة. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٣٧٣/٧. ابن خلكان، (وفيات الأعيان، مرجع سابق)، ٥/٢٥٥.

([8])ينظر: مقاتل بن سليمان، (تفسير مقاتل، مرجع سابق)، ١١٠/ ٢.

([9])أخرجه الطبري في تفسيره، (جامع البيان، مرجع سابق)، ٩٨/١، رقم: ١٢١. وقال بعد ذكر الأقوال في قوله تعالى: (فرقاناً):" وكل ذلك متقارب المعنى، وإن اختلف العبارات عنها." في إسناده: حكام بن سلم الكناني ثقة له غرائب. ابن حجر العسقلاني، (التقريب، مرجع سابق)، ١/ ١٧٤، رقم: ١٤٣٧.

([10])الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، من أصل فارسي، من أقدم مؤرخي العرب، صنف في المغازي والسير، فارس في هذا الميدان كما ذكر الزهري حيث قال: " من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق". حدث عنه جرير بن حازم وخلق كثير، قال عنه أحمد بن حنبل: " ثقة". توفي سنة إحدى وخمسون ومائة من الهجرة. ينظر: الذهبي، (تذكرة الحفاظ، مرجع سابق)، ١٣٠/١. محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ (بَحْرَق) (ت: ٩٣٠هـ)، (حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار)، ج١، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، الناشر: دار المنهاج – جدة، (الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ)، ١٥.

ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] إلى آخره. ذكّر نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- نعمه عليه فيما جرى له بمكة من قومه؛ لأن هذه السورة مدنية، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة. والمعنى: وأذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا .[2]

والمكر: الاحتيال في إيصال الضرر للغير.[3]

وكان هذا المكر / على ما ذكره ابن عباس-رضي الله عنه- وغيره من أهل التفسير قالوا جميعاً: أن قريشاً عرفوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة. إلى آخر ما ذكره مفسرنا.[4]

(ودار الندوة) دار بناها قصي ليجتمعوا فيها للمشاورة والمهمات، من ندا بالمكان اجتمع فيه، ومنه النادي.[5]

قوله: "ليحبسوك ويوثقوك" عبارة المواهب[6] ي: ليحبسوك ويوثقوك؛ لأن كل من شد شيئاً وأوثقه فقد أثبته؛ لأنه لا يقدر على الحركة، وهذا إشارة لرأي أبي البَخْتري[7] فتح الباء وسكون الخاء المفخمة. وقوله: ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ أي: كلهم قتله رجل واحد، وهذا إشارة إلى رأي أبي جهل الذي صوبه صديقه إبليس لعنهما الله. وقوله: ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ أي: من مكة منفياً، وهذا إشارة لرأي هشام بن عمرو. انتهى.

((1ينظر: ابن هشام، (سيرة ابن هشام، مرجع سابق)، ٢٢٦/٢. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)،)الروض الأنف في شرح السيرة(، ج ٥، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ١٥٥.

((2سورة الأنفال، آية: ٣٠.

((3سورة الأنفال، آية: ٢٦

((4ينظر: الألوسي، (روح المعاني، مرجع سابق)، ١٨٢/ ٥.

((5الجوهري، (الصحاح، مرجع سابق)، ٨١٩/٢، (مادة: مكر). ابن فارس، (مجمل اللغة، مرجع سابق)، ٨٣٨/١، باب: الميم والام. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،)التعريفات(، ج١، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، (الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، ٩٤، باب الحاء.

((6قصد بمفسرنا النسفي في ذكره لباقي القصة. ينظر: النسفي، (مدارك التنزيل، مرجع سابق)، ٦٤١/١. ولتفاصيل القصة كاملة ينظر: ابن هشام، (السيرة، مرجع سابق)، ١/٤٨٠.

((7ينظر: بن دريد الأزدي، (جمهرة اللغة، مرجع سابق)، ٦٨٦/٢، (مادة: دنة).

قوله: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ ﴾ برد مكرهم عليهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى عملوا عليهم فقتلوا. انتهى بيضاوي.[١]

وقوله: "برد مكرهم عليهم" لما كان معنى المكر حيلة يجلب بها مضرة إلى الغير، وهو مما لا يجوز في حقه تعالى، أشار إلى تأويله بوجوه: (أولها) أن المراد بمكر الله رد مكرهم أي: عاقبته ووخامته عليهم، فأطلق على الرد المذكور مكر لمشابهتة له في ترتب أثره عليه، فيكون استعارة تبعيه. (وثانيهما) أن المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية والمشاكلة تزيده حسنا على حسن، ويصح فيه الاستعارة أيضاً لأنهم / لما أخرجوه -صلى الله عليه وسلم- أخرجهم الله تعالى. فإذا كانت المجازاة من جنس العمل كان بينهما مشابهة أيضاً. (وثالثهما) أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه حالة تقليل المسلمين في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال بإظهار خلاف ما يبطن، أو أنه مشاكلة صرفه، فالوجوه أربعة. انتهى شهاب.[٢]

قوله: "أي: مكره أنفذ من مكر غيره... إلى آخره"[٣]. وعليه فالإضافة للتفضيل على المضاف؛ لأن لمكر الغير أيضاً نفوذاً وتأثيراً في الجملة، وهذا معنى أصل فعل الخير، فتحصل المشاركة فيه، وإذا جعل باعتبار أنه لا ينزل إلا الحق ولا يصيب إلا بما استوجبه الممكور به، فلا شركة لمكر الغير فيه، فالإضافة حينئذ للاختصاص كما في (أعْدَلا بني مروان)[٤]، انتفاء المشاركة. وقيل: هو من قبيل الصيف أحر من الشتاء، بمعنى: أن مكره في خيريته أبلغ من مكر الغير في شريته، وكلام المصنف يمكن تنزيله على هذا. انتهى شهاب.[٥]

((١ينظر: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)،١، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، ١٦٧.

((٢العاص بن هشام -وقيل: هاشم- ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، من زعماء قريش في الجاهلية، كان أقل إيذاءً للرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا يذكره لهم، لذلك نهى رسول الله عن قتله، توفي كافراً في غزوة بدر. ينظر: ابن سعد، (الطبقات، مرجع سابق)، ٤٢٧/٥. الذهبي، (سير اعلام النبلاء، مرجع سابق)،١/٣٥٨.

((٣البيضاوي، (أنوار التنزيل، مرجع سابق)،٣/٥٧.

((٤شهاب الدين الخفاجي ، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)،٤/٢٦٩.

((٥تفسيراً لقوله تعالى: (واللهُ خَيْر الماكرين). لأن مكر الله - سبحانه وتعالى- أنفذ من مكرهم وأبلغ تأثيراً فيهم.

خاتمة

تناول البحث الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ (دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)، وتكون من مقدمة ومبحثين، شملت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة، بينما جاء المبحث الأول للتعريف بالمخطوط وصاحبه وشارحه، وتكون من ثلاثة مطالب، جاء المطلب الأول للتعريف بالمخطوط، بينما جاء المطلب الثاني للتعريف بصاحب المخطوط من حيث اسمه ونسبه وطلبه للعلم ومؤلفاته ووفاته، وتناول المطلب الثالث التعريف بشارح المخطوط من حيث اسمه ونسبه، ونشأته، وطلبه للعلم، ووفاته،، بينما جاء المبحث الثاني عبارة عن دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة الأنفال، في ضوء الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة، ثم اختتم البحث بأبرز النتائج والتوصيات، ومن هذه النتائج ما يلي:

- تفسير النسفي مختصرًا من تفسير البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة.
- المخطوط مكتمل من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وهو سليم فليس به مسح أو أكلة.
- عدد الألواح: ٢٠٣٩.
- عدد لوحات الجزء الأول (٣٠٦) لوح، متوسط الأسطر في كل لوح من (٢٢) إلى (٢٥) سطر.
- يوجد للمخطوط نسخة واحدة فقط بالمكتبة الأزهرية بمصر مكونة من ستة أجزاء، ويوجد نسخة ميكروفلمية مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية كاملة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بمكة المكرمة.
- صاحب المخطوط هو عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، حافظ الدين، النَّسَفي، نسبة إلى نسف من بلاد السند فيما وراء النهر.
- نشأ صاحب المخطوط في بيئة علمية دينية، كان لها أهمية كبيرة في حياته وفي نشأته العلمية، فمال إلى اعتزال الحياة السياسية وقد تفرغ للعلم والدراسة وعرف اللغة العربية والفارسية، أخذ العلم عن أئمة العلماء في زمانه، منهم شمس الأئمة الكُرْدِري، وبدر الدين محمود بن عبد الكريم الكردري، وحميد الدين الضرير البخاري، وأحمد بن محمد العتابي، كما تتلمذ على يده خيار العلماء، منهم الإمام السِغناقيّ وابن الساعاتي، ورحل إلى بغداد في نهاية حياته وذاع صياته في الآفاق.
- توفي صاحب المخطوط رحمه الله في أصبهان سنة ٧١٠هـ، وله مؤلفات عديدة اشتهر بها في الأصول والفقه والتفسير وعلم الكلام، منها: عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة، كشف الأسرار؛ لخص فيه أصول الفقه لشمس الأئمة السرخسي، كنز الدقائق: متن في الفقه، منار الأنوار: كتاب في أصول الفقه، بحر الكلام: كتاب في أصول الكلام

- شارح المخطوط هو إبراهيم بن إبراهيم الجناجي، الملقب ببصيلة، من مواليد قرية جناح بمصر، مفسر مصري، من فقهاء المالكية، منطقي، نحوي، ولد سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية، ومات والده في سنة ولادته المذكورة.
- توفي شارح المخطوط رحمه الله في مصر سنة ١٣٥٢هـ، وله مؤلفات منها: ضوء الظلام الحالك في فقه الإمام مالك، المطالب السنية في التوحيد-وهو مخطوط، تقريرات –بخطه-على حاشية الصبان في المنطق، رسالة في مبادي النحو- وهو مخطوط-، الكنز الجليل- وهو حاشية على تفسر النسفي وهو مخطوط في ست مجلدات-.
- وجه مناسبة سورة الأنفال إلى سورة الأعراف التي قبلها: أن في الأعراف ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ وفي هذه كثير من إفراد المأمور به[1]،[2]٤)وفي تلك ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، وفي هذه ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- وذكر ما جرى بينه وبين قومه.
- سورة الأنفال مدنية إلا سبع آيات نزلت بمكة، وهي من قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلى آخر سبع آيات، والأصح أنها نزلت بالمدينة،وإن كانت الآيات السبع المذكورة في شأن الواقعة التي وقعت بمكة، إذ لا يلزم من كون الواقعة في مكة أن تكون الآيات التي في شأنها كذلك، فالآيات المذكورة نزلت بالمدينة تذكيراً بما وقع في مكة.

خطة البحث:

المقدمة، وتشمل: أهمية الموضوع – أسباب اختيار الموضوع – المنهج المتبع في دارسة الموضوع – الدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بالمخطوط وصاحبه وشارحه، وتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الثاني: التعريف بصاحب المخطوط، من حيث: اسمه ونسبه – نشأته – طلبه للعلم، مؤلفاته، وفاته.

المطلب الثالث: التعريف بشارح المخطوط، من حيث: اسمه ونسبه – نشأته – طلبه للعلم، مؤلفاته، وفاته.

المبحث الثاني: دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة الأنفال.

أبرز النتائج والتوصيات.

((١قصد بذلك قولهم: "الناقص والأشج أعدلا بني مروان" فالناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان؛ لكونه نقص عطاء الجند. والأشج هو عمر بن عبد العزيز بن مروان؛ لأن به أثر جرح شجّ جبهته. ينظر: الذهبي، (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق)، ٥/١١٤، ١٣٧.

((٢شهاب الدين الخفاجي، (حاشية الشهاب، مرجع سابق)، ٤/٢٦٩.